المشرق

اللفوف الهندية

تعريب القس بطرس عزُّو الكلداني البغدادي

انَّ من سرَّح طائر بصره في بلاد الشرق يرى فيها من غرائب الامور ما لا يراهُ في غيرها من انحاء المعمور. ولعلَّ الاصقاع الهنديَّة وحدها تشتمل على ما يقضي بالعجب العجاب. فانَّ فيها من العادات المألوفة ما تحتار لهُ الألباب

وممَّا قد تميَّزت بهِ تلك البلاد طبقات اهلها التي دعاها الفرنج باسم كَسْت (castes) يقابلها في العربيَّة لفظة اللفّ جمعها لُفوف. قال صاحب القاموس: «اللفّ بالكسر الصنف من الناس». واللفظة الفرنجيَّة اصلها من اللغة البورتغاليَّة خُصَّت بهذه الطبقات من الهنود. وقد قرأتُ لاحد الرحَّالين فصلًا حسنًا في تعريف هذه اللفوف وخواصها كتبهُ باللغة الانكليزيَّة بعد ان عاش في الهند مدَّة طويلة وسبر اخبار سكَّانها وفحص عن احوالهم وتحفَّى في السؤال عن اسرارهم فاحببتُ تعريبهُ ليطَّلع اهل بلادنا على ما في تلك النواحي من النحل والملل. قال الكاتب:

اللفوف المشهورة في الهند منذ قديم الزمن اربعة كبار وهي: البراهمة. ثمَّ الكشاتريَّة او الرجاهيَّة. ثمَّ الوَيْسية او اصحاب الاملاك والتجار. والشُّدرة او الفلاحون والمعدّنون

ولكلّ هذه اللفوف وظائف خاصَّة لا يعانيها الَّا اصحابها. فللبراهمة الكهانة والفرائض الدينيَّة المختلفة. وللكشاتريَّة الخدمة العسكريَّة مع جميع فروعها. وللوَيْسية نظارة الاملاك والتجارة وتربية المواشي. وللشدرة العبوديَّة العموميَّة

وقبل ان نذكر ما يمتاز به كلّ لفّ على سواه يحسن بنا ان نعدّد الصفات العموميّة التي تشمل اللنوف اجمالًا

واعلم اوّلًا انّ كلّ لفّ من هذه اللنوف الاربعة الكبرى ينقسم الى لنوف ثانويّة كثيرة حتى انهُ يصعب على الباحث ان يستقصي عددها بالتدقيق والسبب في ذلك انّ هذه الاقسام تختلف باختلاف الاماكن فاذا وُجد مثلًا لفٌّ في هذا الاقليم فليس من اللازم اللازب ان يوجد من جنسهِ في اقليم آخر

مثال ذلك البراهمة تراهم في جنوبي الهند يُقسمون الى ثلاثة او اربعة اقسام كبار ويتشعَّب كل قسم منهم الى عشرين شعبة على الاقل. ثمَّ لكلّ شعبة فروقٌ تمتاز بها عن اختها اي امتياز حتى انهُ من المحال ان يختلط الرجل بآخر ان لم يكن من شعبتهِ ولاسيما الزواج فلا يقرن احد ابنتهُ الّا برجل من شعبتهِ.

وكذلك يُقسم الكشاتريّة والوَسية الى اقسام كثيرة وهذه الاقسام الى اقسام أُخرى. وهذان اللفّان قليلا الوجود في الهند الجنوبيّة غير انّهما وخصوصًا الكشاتريّة يكثرون في الهند الشمالية. والبراهمة يزعمون انّ لفّ الكشاتريّة الحقيقي لا وجود لهُ البتة وانّ العشيرة المسمَّاة بهذا الاسم انّما هي نسلٌ مختلف عمّا يدَّعون

ولفُّ الصدرة ايضًا ذو فروع عديدة لا تقلّ عن ١٨ لفًّا رئيسيًّا تحتها نحو ١٠٨ فروع ادنى منها منزلة. وهؤلاء الصدرة اكثر عددًا من سائر اللنوف الاربعة العظام وهم بالحقيقة مُجتمع الاهلين وينضمُّون الى نفاية كلّ اللنوف فيضحون نحو تسعة اعشار سكَّان الهند. وهم الذين حصروا فيهم على التقريب جميع اشغال الصنائع والاعمال اليدويَّة

وهذا اللف ينقسم الى فروع وشعب ممتازة لا يفي بها احصاء. ولهم اقسام لا توجد الّا في بعض المقاطعات الهنديَّة او بعض المدن. ففي اقليم تاميل مثلًا ترى لنوفًا لا تجدها في اقليمَي مايسور او دقان منها: مودلّي (اي لفّ الرئيس او التاجر العظيم الاعتبار) وأكاميادي (اي سَدَنة الهياكل والقصور) ونتّامان (اي لفّ الفلاحين) وتوتيار (اي العملة) واودّيّاك (اي الفخّارون) وقاليـين (اي الصيَّادون) الى غير ذلك من التشعُّبات العديدة

فترى من ثمَّ انّ لنوف الصدرة يقومون بجميع الاشغال الضروريَّة للجماعات المتمدنة

منهم البستانيون والرعاة والحاكة والصاغة والحدادون وصنعة المعامل والمعدنون والزياتون والحلاقون والغسالون. ألا ان الزراعين منهم معدودون في مرتبة اعلى من سواهم كأنَّ فنَّ الزراعة يخوّلهم شرفًا و يرفعهم على بقيّة لفوف الصدرة السابق ذكرهم. وعليه فانك ترى الفلاح من الصدرة ينظر الى المحترفين بغير حرفته بعين الاحتقار فيعتبرهم ادنى منزلة منهُ ويأبى مؤاكلتهم

ومن هؤلاء الصدرة لفٌّ يعرف بالترسين لا تجدهم في غير قطر تراڤنكور يبيحون باشتراك النساء. وفي اقليم ناراڤا من لا يجيز ذلك ألا بين الاقارب وهم يُدعون توتيارس. ومنهم قوم يسمون تامبوري يزوجون بناتهم قبل سنّ البلوغ ويعدُّون عارًا للفتاة ان تموت قبل الزواج

ومنهم لفٌّ اسمهُ الكلرُوس مهنتهم السرقة يرتزقون بالنهب والسلب لا يخجلون من ذلك ويدَّعون انَّ عملهم حقّ شرعي ورثوهُ من اسلافهم ابًا عن جدّ وهم يسكنون في اقليم ماراڤا ويطوفون في ضواحيه ويقتنصون حيواناته. وحكّام هذا القطر يمالئون الكلرُوس في سوء عملهم ويجلّون حرفة السارق ولا يرون فيها من الشين والعار ما يراهُ غيرهم من البشر. وليس لهم حجّة لتذكية انفسهم في ذلك ألا كونهم تعلّموا السرقة من اجدادهم فصارت بالتسلسل عملًا مباحًا ولم يعودوا يستحيون منها. واذا سُئل احدهم عن حالته وشعبه اجاب: اني سارق ومن لفّ الكلرُوس. وهذا اللفّ شهير بين الصدرة واكثر انتشاره في انحاء مامورا

ويوجد في اقليم مايسور لفٌّ يُدعى «مورسا اوكالا ماكلو» لهم شريعة غريبة وهي انهُ يتحتَّم على الام اذا دفعت ابنتها الكبرى للزواج ان تقطع ابهامها وسبَّابتها وخنصر يدها اليمنى. واذا كانت الام ميتةً لزمت السُّنَّة امَّ العريس. واذا كانت هذه ايضًا متوفّاة وجب الامر على الام الادنى قرابة من العريس او العروس

وفضلًا عن ذلك ترى في انحاء أُخر عوائد ذميمة شائعة بين الصدرة لا تقلُّ خرافةً وجنونًا عمَّا سبق ذكرُهُ. بل لا تكاد تجد لفًا منهم لم يشتهر ببعض الامور الغريبة والاحتفالات الخاصّة والسنن المستقبحة التي يتمسكون بها ويستوثقون بعراها. ولهم جمعيات تسنُّ عليهم مثل هذه السُّنن في اطوار حياتهم ومعاهداتهم المدنية ويفرضون عليهم فرائض مختلفة بخصوص تقاطيع ثيابهم وألوانها وكيفيَّة لبسها وصوغ حليّهم ونوع تزيين

اجسادهم بها. فمنهم من يمتاز بحفلات الاعراس والجنازات ومنهم من يتفرّد بالازياء الخاصّة ونشر الاعلام المعلمة والرايات الملوّنة لا يحملها سواهم. ومهما ظهرت هذه العوائد والسُّنن والحفلات مضحكةً لا ترى اللفوف الاخرى تشمئزّ منها او تحتقرها. والشريعة تفسح لكل واحد ان يتبع في ذلك اهواءهُ دون مانع وعائق بشرط ان لا تخلّ بقواعد الآداب. ولا حقّ ان يعترض لفٌّ على لفٍّ في مثل هذه الامور او ينتقد هذه الاعمال على اصحابها ولو ناقضت رأساً اعمالهُ وعوائدهُ الخاصّة

على ان بعض هذه العوائد التي يجري عليها لفوف الهنود اذا اعتبرها المنصف وجدها مجحفةً بسنن الاداب لا يرى ذو البصر النقّاد وجهاً لعذرها ولذلك أصون قلمي عن ذكرها لما في وصفها من المعرّة للطباع السليمة

امّا المسكرات والمشروبات الكحوليّة التي لا يستحلّ شربها عقلاء الهند قاطبة فانّها مباحة لساكني جهات الهند الشرقيّة وغاباتها الفسيحة وللصدرة. فتراهم يعاقرون الخمرة ويكرعون جهاراً العرق والبرندي الانكليزي وعصير النخل المعروف عندهم بالتُّدّي. ولسكّان هذه الانحاء خمّارون يقصدونهم كلّ يوم بالمدام قدر حاجتهم فيأخذون منهم اجرة خدمتهم في اوان الحصاد قدراً معلوماً من البرّ. وهذه المشروبات محظورة على براهمة تلك الانحاء. يبسلهم قومهم اذا جنوا هذه الجناية فيحرمونهم ويرذلونهم من جماعتهم الّا انّهم يستبدلون شرب المسكرات بالافيون وان كان استعمالهُ محظوراً في غيرها من الاقطار فيعدّون ذلك اخفّ جرماً

ومن لهُ خبرة في احوال الهند وبحث عن هوائها ومستنقعات بطائحها يرى انّ استعمال شيء من المشروبات الروحيّة والافيون ضروري لحفظ الصحة وصون الجسم من الاوبئة والعفن المستولي على تلك الاصقاع الّا انّ اهل الهند غير الذين سبق ذكرهم لا يحترمون شريعتهم في ذلك ولو ادّت بهم الى التلف لأنّهم يعدّون هذه الشريعة من اشرف شرائع التمدّن الهندي

وللفوف الصدرة الذين يسكنون في اعالي جبال كارنتيك عادةٌ غريبة مستهجنة فانهم رجالاً ونساء يقضون حياتهم في حالة قذرة لا يغسلون ثيابهم البتّة واذا لبسوا الثوب لا ينزعونهُ عنهم حتى يصير اسمالاً وهم يلبسون هذه الثياب ليلاً ونهاراً وقد اعتادت نساؤهم مسح ايديهن بها فيعلوها القذر وتنبعث منها الروائح الكريهة.

والعجيب في ذلك انهم يرعون هذه العادة السيئة تديُّناً وعبادةً واذا حملت الجسارة احدهم على غسل ثيابه المتدثر بها قضت عليه الشريعة بالحرم والنبذ من اللف. وسبب هذه العادة الهمجيَّة قلة الماء في تلك الانحاء. لانهُ لا يوجد في ذلك الاقليم الَّا غدران قليلة راكدة المياه فاذا أُبيح لهم غسل الثياب فيها فسدت للحال وانتنت

هذا وفي بعض فِرَقهم عوائد أُخرى دينيَّة مكانيَّة منها انَّ في جهات مايسور يكرّم الهنود يوم الاثنين من كل اسبوع كما يكرّم المسيحيون يوم الاحد. فلا يحلّ للقرويين في ذلك اليوم ان يزاولوا الاشغال الاعتياديَّة لاسيما الفلاحة واستخدام الثيران والبقر وذلك اكرامًا للبقرة « باسافا » احدى آلهاتهم الخاصَّة التي يعبدونها. وعليهِ فانَّ الاثنين هو يوم راحة لمواشيهم اكثر منهُ لنفوسهم

واكرام البقرة شائع في الهند في الانحاء التي كثر فيها تبعة الإلهة سيَّما المعروفين باللِّنكايت وهم يبالغون في حنارة البقر ويجلُّون عبادتها ويسعون في نشر اكرامها بين غيرهم من اللفوف الهنديَّة

ومن عادات الهنود الثابتة انَّ الأُسر الشريفة منهم لا يقترنون بالزواج مع العشائر التي ليست من اصلهم ولذلك تراهم لا يزوّجون اولادهم الَّا في الطبقات التي تناسلت منهم وكلَّما كانت القرابة بينهم أدنى كان عقد الزواج اسهل. فالايّم من الرجال لهُ ان يقترن باخت امرأتهِ المتوفَّاة وهكذا ابن العم بابنة اختهِ وابن العم البكر بابنة عمّهِ البكر وهؤلاء كلهم لهم حقّ وثيق بالاقتران فيما بينهم وليست حجّتهم في ذلك الَّا داعي القرابة واذا ارادوا امكنهم ان يمنعوا ايًّا كان عن مزاحمتهم ويطالبوه بحقوقهم ولو كانوا طاعنين في السن عاجزين عن الزواج او مبتلين بالمرض او الفقر. ولهم في هذه الامتيازات طرائق عجيبة يُضحك منها لا حاجة الى ذكرها

ولحرصهم على هذه الامتيازات ترى البراهمة بالهند يبحثون بحثًا مدققًا في معرفة ما يدعونهُ « كوترام » وهو الاصل الذي عنهُ خرجوا منهُ ويجدُّون في الوقوف على « المونى » اي العابد الذي منهُ تناسلوا لئلا يصيب زواجهم خلل في اختلاط النسب

اما الهنود الذين لا يجدون في اقاربهم الخصوصيين زواجًا يناسبهم فيتحتَّم عليهم ان يعقدوا النكاح مع بني لفّهم وان كانوا من فرع آخر ولكن لا يُباح لهم ان يتزوَّجوا مع الغرباء الذين ليسوا من لفهم في اي حال كانت. بل لا يجوز لمن ينتمي الى احد

اللفوف في اقليم ما ان يعقد زواجاً مع فرع آخر من لفهِ اذا كان في ايالةٍ اخرى . مثال ذلك انَّ لفَّ اليدبار التاميلي لا يقترن بالزواج مع اليلا التاميلي ولو كان اصلها واحداً

على انَّ اشهر اللفوف الاربعة في الهند كما سبق القول هو لفّ البراهمة ودونهم الكشاتريّة او الراجا ثمَّ الوَيسية او التجار ثمَّ الصدرة او الفلاحون. وهذه اللفوف لا تزال في جدال عنيف لتبيّن ايها الاعرق في الشرف فتحقّ لهُ الرئاسة على غيرهِ . والظاهر انَّ اللفين الاولين قد فقدا تقدّمهما اللهمَّ الّا في الكتب القديمة التي تجعل اسماءهما قبل الصدرة . امّا الصدرة فيعتبرون انفسهم في عيشتهم الخارجة اقدم من لفّ الوَيسية وارفع مقاماً

وممّا ذكرهُ الكتبة عن شعب الوَيسية انَّ نساءهم قبيحات المنظر ليس بينهم امرأة جميلة . وهذا امرٌ مستفيض لم احقّقهُ بنفسي لكنَّ نساء الوَيسية غنيّات يعوّضن عن جمالهنَّ بالاصفر الرنّان

امّا البراهمة فبعض اللفوف لا يعدّونهم في طبقة عليا من الشرف فالپنجالا مثلاً وهو لفٌّ كبير يأبون الاقرار برئاسة البراهمة وينظرون اليهم بعين الاحتقار وان كانوا هم ايضاً معدودين بين طبقات الصدرة الدنيّة

هذا وليس بامرٍ سهل ان نعيّن النظام والترتيب بين اللفوف الثانويّة فترى بعضها معتبراً في اقليم ومحتقراً في اقليم آخر على حسب ثروة اصحابها وتقلّدهم المناصب والرتب وعظم شأنهم . واذا حُكّم في اقليم رجل من احد اللفوف صار لفّهُ معتبراً ولو كان دنيّاً بوجه آخر

ومجمل القول انَّ اللفوف التي تُعدّ اشرف من سواها هي التي اتخذت الاغتسال ديدناً واكثرت من التوضّآت الشرعيّة وامتنعت عن اكل الحيوانات وحافظت على قوانين الزيجة ونظاماتها المرعيّة حفظاً مدقّقاً واقتصّت من النساء اذا خرقنَ سُنن الآداب فحجرت عليهنَّ حجراً شديداً . وكذلك تُعتبرُ اللفوف شريفةً اذا ما اعتصمت بعاداتها الخاصّة الخاصّة وجرت على امتيازات فرقتها وداومت عليها بثبات متواصل

امّا البراهمة فيتظاهرون اكثر من سواهم بحفظ هذه السنن الإرثيّة ويبالغون في الطهارة الخارجيّة ويواظبون على الاستحمام المتداوم ويمتنعون عن اكل اللحم ويحملهم رياؤهم على نبذ ما كان لهُ مبدأ الحياة حتى انهم يعدّون غلّات الارض نفسها نجسة قذرة

حسبا تسوقهم الى ذلك اغراضهم الشخصيّة وتعلّمهم اعتقاداتهم الباطلة. وما يريدون بكل ذلك سوى اعتبار القوم والسيطرة على بقية اللفوف

ثمّ انّ للهنود فضلاً عن تقسيم اللفوف تقسيماً آخر يختلف على اختلاف الشيع الدينية. واكبر شيعةٍ عندهم شيعة سيفا وشيمة وشنو وهما تنقسمان الى شيع كثيرة العدد

وبعض هؤلاء يمتازون بعلامات موسومة على جباههم او على اماكن اخرى من تقاطيع اجسامهم على هيئات شتى. ومنهم كثيرون يتكبون حبلاً رفيعاً يحملونهُ على كتفهم الايسر ويوصلونهُ بابطهم الايمن وهذا امرٌ شائع في لفّ البراهمة والكشتاريّة والوَيسية والپانجالا حتى انهُ يتعذّر تمييز بعضهم عن بعض

ومن التقاسيم الشائعة اليوم بين لفوف اهل الهند الحزبان الشهيران بالحزب الايمن والحزب الايسر. يُقسم اليهما سكّان الهند الجنوبيّة ولا ترى لهما اثرًا في الهند الشمالية ويغلب على ظني انّ هذين الحزبين حديثا الوجود لم ينتشرا في جنوبي الهند الّا من عهد قريب والدليل على ذلك انك لا تجد في كتب الهنود ما يشير اليهما. ولعلّ اصحاب الفتن وذوي الغايات فرّقوا كلمة الاهلين ودسّوا بينهم الشحناء والتباغض حتى اتّسع الخرق بينهم واستشرى الفساد فعمّ كلّ الهند الشرقية وصار اغلب القوم من احد هذين الحزبين. فالحزب الايمن يشتمل على لفّ الوَيسية والپانجالا وبعض لفوف الصدرة السافلة وكثير من التجار والعملة لاسيّما عملة الجلود الذين يُعتبرون كاتوى سند لهذا الحزب ولذلك يفتخرون باسم « انصار الحزب الايمن ». امّا الحزب الايسر فيضمّ لفوف الصدرة العليا والپريا

والحقّ يقال انّ الفتن متواصلة بين هذين الحزبين فهما لا يكفّان عن المشاجرات والخصام ويذكيان نيران المشاحنة والثورة حتى انّ كثيرًا ما تُفضي هذه المنازعات الى سفك الدماء. ومن اعتبر دواعي هذه الفتن لا يرى في الغالب الّا بعض الامتيازات الطفيفة يدّعيها حزبٌ على آخر فتضطرم لذلك بينهم جذوة الحقد والبغضاء. وترى الهندي الذي طُبع على الجبن والفشل يصبح اذ ذاك شهماً باسلاً يعدو الى الموت عن طيبة خاطر ويعدّ فقد الحياة اشهى اليهِ من الصبر على ارتفاع خصمهِ. وربّما تفاقم الامر وبلغ الى حالة من الحدّة لا تستطيع جنود الحكومة من تلافيهِ الّا بعد الجهد الجهيد

واطلاق المدافع على القوم. غير انَّ القوَّة الجبريَّة لا تشفي ادواء القلوب واذا استتبَّ الصلح زمنًا يسيرًا فيبقى وميض النار كمينًا تحت الرماد يستثير دفينَهُ ادنى الاسباب. فلعمري لقد ساء من رأى للهند تقدُّمًا في حكمتها ودينها ولو عاين ما ينجم عن هذه اللفوف والطبقات المتباينة من الشرور المتفاقة لا تردَّد في تقريع حكمائها الاقدمين الذين زرعوا الريح فجنى ابناؤهم الزوبعة. فهيهات بين هذا التمدُّن الهندي ونتائجهِ الوخيمة وبين التمدن المسيحي المبني على روح التواضع والسلم الذي ألَّف القلوب وجمع الامم في الحب والمساواة فلم يبقَ بين اصحابهِ كما قال الرسول (كولوسي ٣ : ١١) : « لا يوناني ولا يهودي . . ولا عبد ولا حرّ بل المسيح هو كلّ شيء وفي الجميع »

في اعمار الآباء الاوَّلين

بقلم حضرة الاب الفاضل الخوري يوسف الدلم

ما زال البعض يسألون عن أعمار الآباء الاوَّلين كآدم واولادهِ ان كانت مدَّتها كما ذكرها موسى الكليم عليهِ السلام في سفر التكوين والبعض الآخر لا يخجلون من تخطئتهِ او تأويل كلامهِ الى خلاف معناه بزعمهم انَّ السنة التي ذكرها لم تكن الَّا مدَّة وجيزة عبارة عن شهر ثلاثين يومًا تقريبًا محتجّين بانهم لا يرون الآن من يعيش تلك السنين الطوال التي عاشها اولئك الآباء. وان ذلك مخالف للمبادئ الطبيَّة . فطلب اليَّ بعض الاصحاب جوابًا شافيًا على ذلك بحيث لا يبقى بعدهُ مجال للسؤال والاعتراض فمن ثمَّ رأيت اجابةً للطلب ان أبسط البيّنات الدامغة على صحة كلام موسى وسلامة تعبيرهِ من تأويلهِ الى خلاف معناهُ

فاقول (اولًا) انَّ موسى الذي ذكر ان آدم مثلًا عاش تسعمائة وثلاثين سنة وشيتًا عاش تسعمائة واثنتي عشر سنة وآنوش عاش تسعمائة وخمس سنين الى غيرهم من اولئك الآباء قد اراد بالسنة اثنى عشر شهرًا وبالشهر ثلاثين يومًا نظير حسابنا الآن. لانهُ بعد ان ذكر اعمار اولئك الآباء في الفصل الخامس من سفر التكوين اتى في الفصل السابع وما بعدهُ من السفر المذكور على ذكر الطوفان وهناك ابان عن عدد ايام السنة والشهر فقال (تك ٧ : ١١—١٢ و ٨ : ٤—١٣):

« في سنة ستمائة من حياة نوح في الشهر الثاني في اليوم السابع عشر منهُ انفجرت ينابيع الغمر العظيم وانفتحت كوى السماء وكان المطر أربعين يوماً واربعين ليلةً في ذلك اليوم دخل نوح وعائلتهُ الى الفلك. . . . وبعد مائة وخمسين يوماً نقصت المياه واستقرَّ الفلك في الشهر السابع في اليوم السابع عشر منهُ على جبال أراراط وكانت المياه تنقص نقصاً متوالياً الى الشهر العاشر. وفي اوَّل يوم منهُ ظهرت رؤوس الجبال وحدث من بعد اربعين يوماً أنَّ نوحاً فتح طاقة الفلك وأرسل الغراب فلم يَعُد ثم أرسل الحمامة لاول مرَّة ثم لبث سبعة ايام أُخر وأرسلها ثاني مرَّة ثم لبث سبعة أيَّام أُخر وأرسلها ثالث مرَّة. . . وكان في السنة الواحدة والستمائة (من حياة نوح) في الشهر الاول في أوَّل الشهر أن المياه نشفت عن وجه الارض وفي الشهر الثاني في اليوم السابع والعشرين من الشهر خرج نوح وعائلتهُ من الفلك . . . »

فهذا كلام موسى لا يترك مجالًا للتأويلات ولا التباس فيهِ ولا ابهام لانَّ موسى قد أبان عن السنة وشهورها وعن الشهر وأيَّامهِ وذكر النهار وذكر الليل حيث قال اوَّلًا انَّ الطوفان وقع في سنة ستمائة من حياة نوح في الشهر الثاني في اليوم السابع عشر. ثمَّ قال انَّهُ « بعد مائة وخمسين يوماً نقصت المياه وانَّ الفلك استقرَّ في الشهر السابع في اليوم السابع عشر منهُ » لنزول الطوفان فالمائة والخمسون يوماً عبارة عن خمسة اشهر فأضفها الى الشهر الثاني المذكور يكن الشهر السابع الذي استقرَّ فيهِ الفلك على جبال أراراط. ثمَّ ذكر الشهر العاشر بقولهِ: « وكانت المياه تتناقص نقصاً متوالياً الى الشهر العاشر » وذكر اربعين يوماً لتناقص المياه. ثمَّ ذكر انَّ نوحاً أرسل الحمامة ثلاث مرَّات بين كل مرة منها والاخرى سبعة أيَّام جملتها واحد وعشرون يوماً فاضفها الى الاربعين يوماً يحصل منها شهران تتمَّة الاثني عشر شهراً وهي سنة كاملة وقد رأيت ان موسى ذكر انَّ الطوفان كان ابتداؤهُ سنة ستمائة من حياة نوح في الشهر الثاني في اليوم السابع عشر منهُ. ثم ذكر « انهُ في السنة الواحدة والستمائة (من حياة نوح) في الشهر الاول نشفت المياه وفي الشهر الثاني في اليوم السابع والعشرين جفَّت الارض وخرج نوح وعائلتهُ من السفينة »

فمن بعد كل هذه التوضيحات هل يحتاج السائل الى زيادة بيان ليعلم ان السنة والشهر واليوم المذكورات في الكتاب المقدَّس عن اعمار اولئك الآباء الاولين هي كالتي عندنا الآن

اقول (ثانياً) انَّ موسى ذكر في الفصل الخامس من سفر التكوين من جملة اولئك الاباء الاولين ان مهلائيل عاش خمساً وستين سنة وولد يارد وان اخنوخ عاش خمساً

وستين سنة وولد متوشلح. فلو كانت السنة الواحدة من تلك السنين عبارة عن شهر تقريباً كما يريد ان يتأوّلها بعضهم لكان كلٌ من مهلانيل واخنوخ ابن خمس سنين وخمسة اشهر لمّا ولدا ولديهما يارد ومتوشلح. ثمَّ ان موسى نفسهُ ذكر في الفصل الخامس والعشرين من السفر المذكور انَّ ابرهيم مات شيخاً ممتلئاً من الايام وانَّ ايامهُ كانت مائة وخمساً وسبعين سنة فاذا اعتبرنا هذه السنين شهوراً كما يزعم البعض كانت ايام ابرهيم اربع عشرة سنة وسبعة اشهر فهل تُعدّ هذه المدة شيخوخةً وامتلاء من الايام...؟

اقول (ثالثاً) امَّا ما يوردهُ المعترضون من الحجَّة بانهم لا يرون الآن من يعيشون تسعمائة سنة نظير اولئك الآباء وان تلك الاعمار الطويلة الموردة في الكتاب مخالفة للمبادئ الطبيَّة فهو مردود بانَّ الحياة البشريَّة ليس لها مقياس واحد ولا الاعمار لها مقدار واحد. وها اننا نرى الناس الان لا يعيشون كلهم عمراً واحداً بل منهم مَن يعيش عشر سنين مثلاً ومنهم مَن يعيش مائة وثلاثين سنة فالنسبة بين هذا وذاك من جهة العمر كالنسبة بين اناس هذا العصر واولئك الآباء الاولين ومَن ترى يقول بان التفاوت الحاصل بين عمر من يعيش عشر سنين وعمر من يعيش مائة وثلاثين سنة من اهل هذا الزمان هو مخالف للمبادئ الطبية ؟

هذا ولا يخفى على البصير المتديّن ان للعناية الالهيَّة في تدبير هذه الخلائق اسراراً تأتيها بحسب مقتضيات الازمان والاحوال. فالاولون قد أُتيح لهم ان يعيشوا طويلاً لغاية تكثير النسل وتوطيد اركان العمران ونشر الديانة والعبادة الالهيَّة والمعارف الضروريَّة لتدبير الحياة البشريَّة هذا فضلاً عن حسن بنية اجسامهم وتفنّنهم في المعيشة فلو لم يعش آدم معهم ويعيشوا هم معهُ زمناً طويلاً لما تأتى لهُ ان يبثَّ بينهم ما كان المولى قد زانهُ به من الحكمة والمعارف منذ يوم نشأته. فائمّة العلماء قد اجمعوا على ان آدم الاب الاول لم يوجد في هذا الوجود في حالة الجهالة اي صحيفة غير مكتوب عليها شيء. كما يوجد باقي الناس بل زانهُ مولاهُ جلَّ جلالهُ من يوم برأهُ بالحكمة والعلم. وبيانهُ انَّ آدم سمّى الحيوانات باسمائها على ما قال الكتاب في الفصل ٢ من سفر التكوين: «فدعا آدم باسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البريَّة وكلّ ما دعا به ذات نفس حيَّة فهو اسمها». اي انَّ آدم عرف مزايا هذه الخلائق وطباعها ووضع لها اسماء مطابقة

لها قال كَلَيتُ عند هذه الآية :« ان تسمية آدم لهذه الحيوانات باسمائها ضرب من استعمال ولايته عليها ووضعهُ اسماً مطابقاً لكلٍّ منها يستلزم معرفة سامية فيهِ ليتسنى لهُ ان يعرف طبائعها وخصائصها توصُّلاً الى وضع اسماء مناسبة لها . ولذلك قد اخذ الفلاسفة الاقدمين العجبُ العجاب من علوّ حكمة من اخترع اولًا تلك الالفاظ واجراها على تلكَ المخلوقات مسمّياً كلاً منها باسم مناسب لها . قال يوسيفوس : انَّ تلك الاسماء التي بها سمَّى آدم الحيوانات كانت عبرانيَّة لانَّ اللغة العبرانيَّة فيها مطابقة عظيمة بين تلك الاسماء ومسمَّياتها (١ »

وقال القديس توما اللاهوتي : لقد أبدع الانسان الاول من الله عالماً بجميع الاشياء التي من شأن الانسان ان يتعلَّمها اي جميع ما يقدر الانسان ان يعرفهُ بالقوَّة الطبيعيَّة لكن لمَّا كان تدبير الانسان لحياتهِ وحياة غيرهِ لا يستلزم ما يمكن معرفتهُ بالقوَّة الطبيعية فقط بل معرفة ما لا تصل اليهِ المعرفة الطبيعية ايضاً من وجه انَّ حياة الانسان متَّجهة الى غاية فائقة الطبع كأن لا بدَّ لنا في تدبير حياتنا من معرفة عقائد الايمان . ومن ثمَّ فالانسان الاول قد تلقى من معرفة هذه الامور ما كان ضرورياً لتدبير الحياة الانسانية باعتبار تلك الحال واما سائر الاشياء التي لا يمكن الانسان معرفتها بالاجتهاد الطبيعي ولا هي ضروريَّة لتدبير الحياة البشريَّة فالانسان الاول لم يعرفها وذلك كافكار الناس والحوادث المستقبلة وبعض الامور الجزئية كعدد حصى النهر ونحو ذلك . فالانسان الاول اذاً حصل لهُ علم جميع الاشياء بالصور المفاضة من الله ولم يكن ذلك العلم مع هذا مغايراً في الحقيقة لعلمنا بقياس ما انَّ العينين اللتين وهبهما المسيح لذلك الاعمى لم تكونا في الحقيقة مُغايرتين للاعين التي اصدرتها الطبيعة . وكما خلق الانسان منذ الابتداء كاملاً في الجسد قادراً على التوليد كذلك وُجد كاملاً في معارفهِ لتدبير حياتهِ وحياة غيرهِ ولقد كان واجباً ان يكون لهُ من حيث كان الانسان الاوَّل شيء من الكمال لا يقتضي لسائر الناس . انتهى بتصرُّفٍ قليل (المبحث ٩٤ في حالة الانسان الاول)

---

١) لا يعدُّ العلماء قول يوسيفوس في اسماء الحيوانات بالعبرانية كحجَّة قويَّة وقد ثبت اليوم انَّ اللغة العبرانية فرع من لغات اقدم عهداً

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

٣١ دخول النصرانية في لبنان

لهذا البحث علاقة طبيعيَّة مع بحثنا السابق عن كنائس لبنان القديمة فلا يسعنا الّا الخوض فيهِ هنا

روى رينان في كتاب بعثة فينيقية عن الموارنة انهم يدَّعون كون الوثنيَّة لم تشعْ في وطنهم مطلقاً وهذا افتراء في حقّ اهل لبنان الذين لم يذهبوا الى مثل هذا القول الباطل. وكيف يا ترى يزعم اللبنانيون بذلك وكل انحاء جبلهم تنطق بشيوع عبادة الاصنام في القرون الغابرة وفيهِ من آثار التوثُّن ما سبق وصفهُ في مقالاتنا

وما لا مرية فيهِ انَّ لبنان كبلاد الشام جمعاء كان يدين بالشرك بل بقي لعزلة موقعهِ ينوء تحت عبء الوثنيـة مدَّةً بعد ان ارسلت النصرانيَّة اشعَّتها على سوريَّة اجمالاً وعلى فينيقية خصوصاً وكانت مدنها الساحليَّة على طريق دعاة الدين المسيحي فنالوا من انواره حظّاً وافياً قبل سواهم

١ لبنان واول مبشّريهِ

ارتأى بعض الكتبة انَّ المسيح وطئ ارض لبنان واستندوا في تأييد رأيهم على آيتَيْ متى (١٥: ٢١) ومرقس (٧: ٢٤) حيث ورد عن الرب لذكرهِ السجود انهُ ذهب الى تخوم صور وصيداء. غير انَّ هـذا الموضع لا يصرّح بذكر الطريق التي سلكها المسيح وقد زادنا القديس مرقس في الفصل ذاتهِ ايضاحاً اذ قال (٧: ٣١): « انهُ خرج من تخوم صور ومرَّ في صيداء وجاء فيما بين المدن العشر الى بحر الجليل ». فان الطريق التي تؤدي توّاً من صيداء الى المدن العشر تمرّ في مُنعطف لبنان جنوبي شرقي صيداء فتبلغ النبطيَّة او جوارها عابرةً على نهر الليطاني عند الجسر المعروف اليوم بالقعقاعيَّة فتنتهي الى جنوبيّ شرقيّ بلاد بشارة. وهـذه الطريق تسير عليها السابلة الى يومنا والطبيعة نفسها ترشد اليها. فلهذا الرأي كما ترى سندٌ ولا حرج على من يقول بهِ

وللكتبة المحدثين قول آخر او تقليد محليّ يزعمون بموجبهِ انَّ السيد المسيح لم يدخل

فقط صيداء بل بلغ ايضاً حتى ثغر بيروت. والتقليد المذكور اثبتهُ في القرن الخامس عشر احد الزوَّار الالمانيين يدعى برَيْتنباخ (راجع المشرق ١: ١٩١). ثمَّ اوردهُ كوارزميوس في كتاب وصف الاراضي المقدسة (١ وذكرهُ احد ادباء الالمان في مقالة طبعها سنة ١٦٩٢ عن بيروت وآثارها. ولعلَّ هذين الاخيرين نقلا ما قالهُ برَيْتنباخ. وهذا التقليد على ما نظنّ ليس بثبت لا نرى وجهاً لتوفيقهِ مع ما رواهُ الانجيليون

لكنَّ الله منح بيروت نعمة أُخرى يحقّ لاهلها ان يفتخروا بها نريدُ احتلال القديس بطرس هامة الرسل في ربعها. وهو امرٌ يقبلهُ العقل ويؤيدهُ النقل. امَّا العقل فلأن بطرس الصفا انتقل غير مرَّة من اورشليم الى انطاكية فترتب عليه ان يجتاز في بيروت وهي اذ ذاك من اعظم مدن فينيقية شأناً. امَّا النقل فلنا منهُ شهادة قديمة تُعزى الى تلميذ بطرس الرسول وخلفهِ في كرسيهِ البابوي القديس اقليميس وردت في كتاب الابحاث والمسامر (٢. وهو تأليف قد اختلف العلماء في كاتبهِ الَّا انهم يتفقون على كونهِ سبق اوائل القرن الثالث

وفي الكتاب المومأ اليهِ فوائد أُخر عديدة عن تاريخ النصرانيَّة في فينيقية والانحاء المجاورة لمدنها الساحليَّة الَّا اننا لا ننقل عنهُ غير ما نراهُ راهناً مقرَّراً توافقهُ الشواهد القديمة (٣. ومن ذلك ما جاء عن جبيل (٤ انَّ الرسول الهامة اقام لها اسقفاً حنا مرقس احد تلامذتهِ وكان المذكور ولد في اورشليم وهو نسيب للقديس برنابا (٥ وفي بيتهِ نزل بطرس الرسول لمَّا انقذهُ الرب من ايدي هيرودس (٦. فسقَّفهُ على جُبيل كما تشهد على ذلك السنكسارات الشَّرقيَّة اليونانيَّة والسريانيَّة والمارونية فضلاً عن الكلندار الروماني الذي ذكر عيدهُ في ٢٧ ايلول. والمؤرخون الاقدمون يوافقون في ذلك الآثار الطقسيَّة

فمن ثمَّ تكون اسقفيَّة مرقس المذكور الأثر الاول لدخول النصرانية في لبنان لأن

---

١) راجع كتابهُ Elucidatio Terræ Sanctæ

٢) طالع مجموع آباء اليونان لمين الجزء الاول والثاني

٣) وقد عدلنا عن ايراد هذه الامور ليس فقط لانَّ مؤلف كتاب الابحاث مشتبهٌ فيهِ بل لاسباب اخرى يؤدي بنا ذكرها الى الاطالة

٤) وقد ذكر عن بيروت انَّ القديس بطرس سام لها اسقفاً يدعى كوارتس

٥) راجع رسالة القديس بولس الى اهل كولوسي (٤: ١٠)

٦) اعمال الرسل (١٢: ٢١)

جُبيل كما اشرنا الى ذلك في المشرق (٣: ٢٩١) كانت مرتبطة بلبنان ارتباطاً غير منفصم بل كانت معدودة منهُ داخلةً فيهِ كما ترى في عهدنا. وبما انها كانت محاطة بعدَّة هياكل مقدَّسة تشرف عليها من الآكام والرُّبى المجاورة لاسيما هيكلي افقا والمشنقة (المشرق ٢: ٥٩٩ و ١١٢١) فكان الفينيقيون يعدُّونها مثل كعبة دينهم يحجُّون اليها من اقطار بعيدة فيتمِّمون فيها مناسكهم الدينيَّة التي باشروها في هياكل لبنان ويكرمون بزيارتها ادونيس والزهرة

هذا ولا نعلم ما نالهُ اول اساقفة جبيل من النجاح في تتمة رسالته المقدَّسة. ولا غرو أنهُ لقي في دعوتهِ عوائق شتى حالت دون رغائبه الخلاصيَّة. وممَّا لا يُنكر انَّ في ذلك الوقت عينهِ اذ بزغت شموس النصرانيَّة في اقطارنا الشَّرقية صار للدين الوثني نهضة جديدة في لبنان فانَّ تاريخ بناء بعض هياكل الاصنام فيهِ يرتقي الى ذلك العهد كهيكل فقرا (المشرق ٣: ٦٠) وغيرهِ. ولم تزل الوثنيَّة في عزّ وترقٍ في مطاوي القرن الثاني للمسيح وفي اوائل القرن الثالث

واشتدَّ ازر الدين الوثني في لبنان بتلك الامبراطور الروماني ادريان الذي زار لبنان في بدء القرن الثاني وسكن مدَّة في جبيل. وكان هذا القيصر من عبدة الزهرة يظهر لها التجلة والاكرام وقد بنى لها في رومة معبداً كبيراً وادخل عبادتها في بيت لحم لماكسة النصرانيَّة. ومن آثارهِ الباقية في لبنان الكتابات العديدة التي وصفها اصحاب العاديات وذكرناها في مقالاتنا المرَّة بعد المرَّة. ولا نشكّ انهُ حجَّ الى معابد الزهرة وادونيس خصوصاً في افقا ودير القلعة (١ كما انهُ شيَّد بعض الهياكل ورمَّم غيرها لاسيَّما في جُبيل وكانت تُعدُّ في ايَّامهِ كاحدى حواضر المدن وأمّهاتها

وجرى خلفاء ادريان على سننهِ فعزَّزوا في لبنان الشرك والتوثن كيف لا وبعضهم كانوا وُلدوا في لبنان او المدن الملاصقة لهُ نخصّ منهم بالذكر اسكندر ساويرس الذي كان مولدهُ في هيكل الزهرة في عرقا. ولذلك ترى كثيراً من الآثار الدينيَّة الفخيمة التي تزيّن لبنان حتى يومنا هذا قد شُيِّدت في ذلك العهد منها هيكلا بعلبك وحصن سليمان في جبل النصيريَّة. تشهد على اصلها كتب المؤرخين. وفي لبنان مبانٍ أُخرى

١) ولعلَّ النصب الذي وصفناهُ في المشرق (٢: ١٢٢) قد اقيم حفاوةً بهِ لمَّا زار هذا المعبد

غيرها يُجهل تاريخها والارجح انها بُنيت في الوقت عينهِ لما فيها من الشبه مع ابنية ذلك العصر كحصن صافيري في الضنية وناوس قرب كسبا و بزيزا في الكورة وغير ذلك مما سنورد ذكرهُ في مقالاتنا

وهذه الغيرة التي نراها في عبدة الاوثان في اوائل النصرانية تدلّ دلالةً واضحة على انَّ المشركين في لبنان أبوا الَّا ان يدافعوا عن آلهتهم لئلَّا تحطّهم ديانةُ المسيح عن مقامهم الرفيع الذي بلغوا اليه سابقًا .

ولكن دعنا نستوفي اخبار النصرانيَّة في لبنان في اواخر القرن الاول. افادتنا التآليف المنسوبة الى القديس اقليميس انَّ القديس بطرس احتلَّ طرابلس واقام عليها اسقفًا يدعى مارون. وهذا الامر ذو شأن لا نرى في صحّتهِ التاريخيَّة مشكلًا وان كان مدوّن هذا الخبر زاد فيهِ من الاوصاف الوهميَّة ما لا يقبلهُ العلم الصادق. ويسرُّنا ان نرى في ذلك العهد اسقفًا جليلًا يتيمَّن قراؤنا الموارنة باسمهِ وقد اشتهر في مدينة تطلّ عليها تلك الجبال التي صارت بعدئذٍ مهد طائفتهم العزيزة

ومن الآثار النصرانيَّة التي ترتقي الى القرن الاول استشهاد القديس تدَّاوس الذي روى عنهُ الرواة الاقدمون انهُ رُجم في بيروت لاجل الايمان. وفي تعريف الشهيد المذكور رأيان مختلفان فزعم البعض انَّهُ احد تلامذة الرب السبعين وذهب غيرهم الى انهُ هو الرسول يهوذا او تدَّاوس اخو يعقوب البارّ. ويصعب علينا جزم الامر لقلَّة الادلَّة. وانما جاء في تاريخ البطريرك ساويرس (راجع المشرق ٣: ١٠٠٤) انَّ بيروت كانت تحتوي كنيسةً باسم القديس يهوذا اخي يعقوب البار في القرن السادس (١. وهذا لعمري اثرٌ حسن يشهد بقدم التقليد عن القديس يهوذا المذكور

٣ً نزاع النصرانية والوثنية

يحصل من فصلنا السابق انَّ لبنان لم يُحرم من نعمة النصرانيَّة منذ القرن الاول من تاريخها. ولا جرم انَّ الدين المسيحي نما في القرنين التاليين. الَّا انَّ الآثار القديمة لا تكاد تفيدنا عن شؤونهِ شيئًا فنظنُّ انَّ نموَّهُ كان بطيئًا لما تصدَّى لهُ من العوائق من قبل المشركين الذين كانوا اتَّخذوا هذا الجبل كمعقل لدينهم فبنوا فيهِ الهياكل العديدة

١) طالع Revue de l'Orient chrétien, Opuscules maronites 1899, p. 565

وشيّدوا الآثار الدينية فلقوا في اخلاق الجبليين وطباعهم الفظّة ما قوّى روح التعصب بينهم. وعلاوةً على ذلك نرى الشيع الوثنية ليس في الشام فقط بل في كل انحاء المعمور قد التجأت الى مشارف الجبال بعد ان دحرتها النصرانية في المدن العامرة وسفوح البلاد لنا شاهد على ذلك في جبل برجيلوس المعروف في يومنا بجبل النصيريّة فانّ سكانهُ اصرّوا على وثنيّتهم الى القرن الخامس مع انّ هذا الجبل دون لبنان في علوهِ واسهل منهُ مرتقىً

وهذه الملاحظات العمومية عمّا لقيتهُ النصرانية في طريقها من العثرات يؤيدها التاريخ القديم الذي لم يذكر الدين المسيحي في لبنان الّا نادرًا. وكذلك الآثار الكتابيّة فانّ الوثنيّة منها كثيرة امّا النصرانيّة فهي قليلة جدًّا. فكل ذلك دليل واضح على ما نال ديانتنا المقدّسة من المقاومات والمدافعات قبل ان ترسخ مبادئها القويمة في ارض لبنان حتى صارت في توالي الاعصار عصمةً للدين لاسيّما بعد ان توطنت هذا الجبل الطائفة المارونية المعروفة بحماستها الدينية

وفي عهد الملك نومريان القيصر الروماني (٢٨٣—٢٨٤) تشرّف لبنان بوفاة احد ابنائهِ شهيدًا وهو الطبيب طليلوس (لعلهُ ܛܠܝܠܐ اي مظلّل ومحمي) وكان استشهادهُ في قيليقيا وممّا ورد في ترجمة حياتهِ انهُ قال للحاكم لمّا طلب منهُ نسبهُ: «اني أُدعى طليلوس ومولدي في لبنان واسم ابي بريكوكيوس (لعلهُ ܕܒܪܝܟܐ اي مبارك) وهو نصراني واحد ضبّاط الجيوش. وتدعى امي روميليا وامي يوحنا وهو شماس (١)». فحكم الوالي على طليلوس بقطع الرأس بعد ان مثّل بهِ واذاقهُ مرّ النكال الّا انّ الله عزّ وجلّ اشهر قداسة عبدهِ بما اجترحهُ من المعجزات الباهرة على قبرهِ حتى ذاع اسمهُ في اقاصي الشرق

ومن النصّ السابق يصحّ لنا ان نستنتج انّ النصرانيّة كانت اخذت في الامتداد في لبنان منذ اوائل القرن الثالث لاننا نرى العيال فضلًا عن الافراد يدينون بدين المسيح. وكذلك وجود شمّاس في أُسرة لبنانيّة يدلُّنا على وجود الرُّتب الكنسيّة وكلّ ذلك لا يقوم الّا بكنائس منتظمة. ثمّ انّ اسماء المذكورين الّا واحدًا منها آراميّة الاصل فذلك بيّنةٌ على انّ لغة اللبنانيين لم تزل بعد آراميّة اي سريانية

---

١) راجع اعمال القديسين البولنديين في ٣٠ أيار .

ولا بُدَّ هنا من ملاحظة على موقع لبنان الذي ذكرهُ الشهيد طليليوس فنقول انهُ لا يدلّ ضرورةً على لبناننا الحالي وانَّ اسمهُ كان في ذلك العهد يشمل الجبال الواقعة في شمالي النهر الكبير فإِلمَ نجد في معرض قول الكتبة الاقدمين ما يزيل الشبهة يصعب علينا ان نستدلّ على جهتهِ المنوَّه

وفي سنة ٢٩١ للمسيح زان الله باكليل الاستشهاد هامة فتاةٍ من عذارى جُبيل تُدعى اكويلينا قصفها المتعصبون كغصن رطيب وليس لها من العمر سوى ١٢ سنة . وقد اخبر البولنديُّون (في اعمال القديسين اليوم ١٣ من حزيران) انَّ نصارى المدينة جمعوا ذخائرها المقدَّسة فدفنوها بمزيد الاكرام ثمَّ تعدَّدت العجائب على قبرها . الّا ان عبادتها اليوم قد اندثرت فلم يبقَ لها ذكرٌ بين مواطنيها وهو امر غريب لولا ان التاريخ ينبئنا بنقل جسمها الطاهر الى القسطنطينيَّة في القرون التابعة فاصابت هناك من تعبُّد الاهلين ما فقدتهُ في وطنها

وقد ارتأى الاب مرتينوس اليسوعي في تاريخهِ المخطوط عن لبنان (ص ٢١٣١) ان ذكر الشهيدة اكويلينا قد امتزج في كرّ الاعصار باسم قديسة أُخرى تعرف بربَّتينا التي يكرّمها اهل جُبيل اكراماً عظيماً وفي جوار بلدتهم معبد شيَّدوه على اسمها يحجون اليهِ من كلّ أوب والزوَّار يأخذون من ترابهِ شيئاً فيتبركون بهِ . واكثر ما يأتيهِ المؤمنون في ايَّام قطف دود القزّ

وتشرَّفت ايضاً طرابلس في ذلك العصر بشهدائها منهم الشهيدان مندالييس (راجع البولنديين في ١٢ حزيران) ولوسيان او لوسيوس (راجع السنكسار الروماني في ٢٤ كانون الاول) . ولا نعرف من امر لوسيوس المذكور الّا اسمهُ كما صرَّح بذلك العلماء البولنديون . وعندنا انَّ لوسيوس المذكور هو القديس الذي يكرّمهُ اهل لبنان منذ زمن قديم باسم القديس نوهرا او نهرا . وليس نوهرا (ܢܘܗܪܐ اي نور) سوى ترجمة اسمهِ اللاتيني في السريانية وفي السنكسار الماروني في تاريخ ٢٢ تموز ما معناه : « في هذا اليوم نحتفل بجهاد الشهيد لوجيوس (ܠܘܓܝܘܣ) وكان اصلهُ من منهور (كذا) من بلاد العجم فطاف البلاد وبشَّر بالايمان في المسيح حتى بلغ مدينة البترون في بلاد فينيقية فمات فيها شهيداً . وهو شفيع المصابين باوجاع العيون ولذلك دعاهُ السريان بلغتهم نوهرا اي نوراً وهذا معنى اسمهِ لوجيوس »

وليس في هذه النبذة ما يناقض قول الاقدمين بان لوسيوس استشهد في طرابلس وطرابلس كما لا يخفى تُعدّ من اعمال فينيقية ولعلّ قرب موقع البترون وطرابلس جعل البعض يذكرون وفاتهُ في احداهما دون الأخرى ثم لا نرى التقليد المحليّ على رأي ثابت في ذلك لانّ اهل سمار جُبَيل يدَّعون بانَّ استشهاد القديس نوهرا كان في قريتهم ولهم بئر يزعمون انهُ أُلقي فيهِ فغرق. ويؤيدون زعمهم بكتابة سريانية في جدار كنيستهم. ولكن غاية ما يستفاد من هذه الكتابة انَّ احد افاضل الكهنة مدفون في هذا المكان ولم يبقَ لاسم هذا الكاهن اثر. وسنعود ان شاء الله الى وصف هذه الكتابة عند ذكرنا سمار جُبَيل (ستأتي البقيَّة)

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني

٨

وكان في جملة الكبراء اللبنانيين النازلين وتتنذ في قصر بشرَّاي زَين مقدَّم البترون وهو من ابطال الجنود أظهر كثيرًا من مآثر البسالة رغمًا عن حداثة سنّهِ. وكان عظيم القامة مفتول العضل قوي الساعد نادرةً في الشجاعة والاقدام وقد ضمَّ الى هذه الاوصاف استقامة الضمير وكرم الطباع فكانت الرعيَّة في امارتهِ الصغيرة تحبهُ وتحترمهُ وكان هو يعاملها باللطف والعدل

وقد رغب ان يصون قومهُ من غارات التركمان المقيمين في قلعة المسيلحة بوادي نهر الجوز فرمَّم من مالهِ سور البترون وقلعتها التي من بناء الصليبيين. ولاجل هذه الغاية عينها وتمكين سبل الاتصال مع اعالي لبنان وحماية واديَي دوما وتنورين المشهورين بخصبهما انزل جنودهُ في مركز قامة الحصن فوق بشعلة ومار يعقوب وهكذا ايضًا فعل بقامة سمار جبيل

فهذه الاعمال كلها مع ما تحلَّى بهِ المقدَّم زين من الاوصاف التي مرَّ بيانها جعلتهُ اخلص الاعوان واوفاهم لمقدَّم مدينة بشرَّاي فحبًّا بمكافأة اخلاصهِ ورغبةً في توثيق

عرى الاتحاد بين الطوائف النصرانيّة في الجبل احب الامير رزق الله ان يزوّجهُ براحيل احدى البنات المثريات في البــلاد. وكانت تنتمي الى اسرة كبيرة من طائفة الملكيّة يرتقي اصلها الى عيلة افرنجيّة تُعرف بعيلة لامبرياك (١ كانت في ايام حروب الصليب قد حكمت مدينة جبيل. وكان للابنة المذكورة شقيق اسمهُ موسى يقيم لدى بطريرك الملكيّة الانطاكي الذي رقّاهُ الى درجة ارشيدياكون اي رئيس شمامسة (٢

وكانت راحيل آيةً في حسنها وانموذجاً مكمّلًا في فضائلها المسيحيّة لان ابويها عُنيا كل العناية بتربيتهــا وتعليمها وتهذيب عقلها. وكانا يقيمان اكثر ايام السنة في طرابلس وكانت في طرابلس مدارس مشهورة واساتذة اهل علم وصيت فكانت راحيل تدرس عليهم. ثمَّ ان شقيقها الارشيدياكون الذي كان من عداد العلماء الفحول (٣ تمم تثقيفها وتنويرها بالمعارف فجاءت أفضل بنات جنسها في ذلك العصر. وما عدا اللغة الافرنجية كانت تجيد التكلم باليونانيّة والعربيّة فضلًا عن إلمامها بعلم الفلك والرياضيات

وقد طلب الامير رزق الله الى الاب يوحنّا ان يبارك هذا القران ويقوم بحفلة الاكليل ولمّا كان هذا الرجل القديس صديقًا لاسرة لامبرياك اجاب الطلب وتمَّت الحفلة بابهــة عظيمة ورونق ما عليه مزيد ودامت الاعياد والافراح اياماً بلياليهـــا. وكان كلٌّ من العروسين لائقاً بالآخر كأنهُ لم يصلح الّا لها وهي لم تصلح لسواهُ

وفي مدّة الحفلة كلها كان واقفاً بالقرب من راحيل ابوها وهو شيخ جليل القدر عبث البياض بلمّتهِ ودلَّت ملامحهُ على شرف حسبهِ فما زال هـــذا الشيخ يذرف الدموع حتى انتهت صلاة الاكليل فحينئذٍ فتح ذراعيهِ وضمَّ العروس الجديدة قائلًا لها:

— يا ابنتي العزيزة قد اقترنتِ بمن كنت تحبينهُ وقد نجزت الآن مهمّتي

ثم رفع يدهُ الى العلاء فقال: انَّ والدتكِ المسكينة تنتظرني فوق فباسمها وباسمي اباركِكما جميعاً

فقاطعتهُ راحيل وانطرحت بين ذراعيهِ قائلةً:

دع عنك يا والدي العزيز هذه الافكار المقلقة فها قد اجتمعنا الآن اثنين على محبتك

١) وكانت تدعى ايضاً «جبْلة» باسم مدينة جبيل التي حوّلها الافرنج الى هذه الصورة (راجع تأليف دوكانج Ducange)

٢) المشرق ١: ٦١

٣) المشرق ١: ٦١ و ٦٢

واحترامك وسترى مني ومن زين اجزل الوداد لمن هو افضل الوالدين فبدّد اذًا غيوم الارتعاج عن بالك

غير انَّ سليل اسرة لامبرياك لم يقوَ على الانعتاق من التأثير الذي اصابهُ الّا بعد حين ثمَّ ارسل نظرة حبٍّ والديّ في محيَّا ابنتهِ المُشرق بالجمال وعينيها الزرقاوين وغدائرها المنعقدة كاكليل من ذهب فوق جبينها الوضّاح وبعد ان قبّلها بحنوّ اب شفيق قال لها :

يا عزيزتي ويا عزائي الوحيد في ايام نكبتي كوني مباركة يا ابنتي والله تعالى اسأل ان يحفظكِ ويحميكِ

وفي اليوم التالي عاد الى قصبة اميون في ناحية الكورة حيث كان يقيم مدة الصيف وكانت البركة التي جاد بها على ابنتهِ راحيل آخر بركاته عليها لان ايامهُ لم تطُل بعد ذلك كما سترى

امَّا العروسان فانهما بعد تتمَّة الحفلة أقاما زمنًا قصيرًا في دار المقدَّم رزق الله ثمَّ ودَّعاهُ وذهبا الى البترون . وامَّا الاب يوحنا فسأل الامير ان يأذن لهُ في العودة الى ديرهِ فتمنَّع في بادئ الامر وحاول كثيرًا ان يبقيهُ لديهِ ولمَّا رأى ان لا فائدة من الحاحهِ الزم بالقبول واصحب الاب يوحنَّا بكثير من الهدايا والنفائس . على انَّ الراهب القديس كان كلما شاهد في طريقهِ فقيرًا او محتاجًا أعطاهُ ما يكفي لسدّ حاجتهِ ومن ثمَّ لم يصل الى دير مُرت تقلا الّا وكان قد وزَّع جميع ما نفحهُ بهِ المقدَّم رزق الله من الصلات على البائسين . وممَّا يحق ذكرهُ بنوع خاص هو أنَّهُ قبل وصولهِ ببضع ساعات الى الدير شاهد رجلًا ملقىً على الطريق مثخنًا بالجراح فبعد ان عالجهُ بما استطاع اليهِ سبيلًا اعطاه حمارهُ ليركبهُ وكان آخر شيء قد بقي معهُ . ثم انهُ بالرغم عن شيخوختهِ ارتقى الطريق المؤدية الى ديرهِ وهو فرح محبور

امَّا جبرائيل بن القلاعي الذي رافقهُ فانهُ بقي في بشرَّاي وعملًا بمشورة فرا غريفون سافر بعد ذلك الى القدس الشريف حيث انتظم في سلك الرهبان الفرنسيسيين (١) . نعم انَّ جبل لبنان خسر هذا الشاب الغيور على صحَّة الايمان ولكن الى حين لانهُ عاد اليهِ فيما بعد وكان من جملة عمد الديانة فيهِ واركانها العظام

(١) الدويهي : تاريخ الموارنة

امّا رهبان دير القديسة تقلا فانهم قابلوا رئيسهم المكرَّم بغاية الفرح والتبجيل غير انهُ كان يكره الاكرام ويعدّه منافياً للروح الرهباني ومن ثمَّ عاد الى مسالكهِ السابق كأنَّهُ لم يكن شي. ممّا كان فجعل يقضي اوقاتهُ في الصلاة والمطالعة والعمل. وليقينهِ انَّ الراهب لا يجوز لهُ ان يهتم بامور الدنيا التي هجرها تحاشى محادثة مرؤوسيهِ عمَّا عرض من الحوادث في سفرهِ الى لبنان فكانوا اذا طارحوهُ الاسئلة عن شيء من ذلك يجاوبهم محرضاً ايَّاهم على الصلاة من اجل نجاح الديانة والاتحاد ما بين المسيحيين وهذا كل ما كانوا يسمعونهُ منهُ

٩

كان على مسافة ساعة من دير مرت تقلا رابية من الصخر مرتفعة في الجوّ بشبه الصومعة فعلى هذه الرابية انتصب قصر عظيم يدعى «القليعة» يرتقي تاريخهُ الى حروب الصليب. وهو من عداد القلاع التي تشيَّدت من طرابلس حتى وادي العاصي فوق مضايق الجبال وقد بقي منها الان برج صافيتا وحصن الاكراد كانموذجين يدلّان على ما كانت عليهِ من القوّة

غير ان القصر الذي نحن في صددهِ لا يُقاس بالقلعتين الاخيرتين ولا يُشبَّه بهما. وكانت ايدي الخراب قد عملت فيهِ اثناء حوادث الرواية التي نكتبها لكنَّ ابراجهُ كانت قائمة وتشنذ تطلّ على جميع ما حولها من الضواحي. وكان في وسطهِ بناية عظيمة تشتمل على منازل الامير واعوانهِ وخدمهِ وغرفة فسيحة للسلاح مع معبد لقضاء الفروض الدينيَّة

وقد حُفرت في جوانب الصخر الذي قام عليهِ القصر مخازن عديدة وصهاريج كبيرة وحُوِّط الكل بسور منيع تتقطعهُ الابراج المدوَّرة. وكان هناك مضيق يربط تلك الصومعة الصخريَّة ببقيَّة الجبل وفي ذلك المضيق حُفر خندق عميق واُلقي على الخندق جسر نقّال يُرفع ويوضع على حسب المشيئة وشُيّد في اعلاهُ حصنان قويّان لا يُرامان

امّا الزينة في داخل القصر فكانت بسيطة وكالحةً على حدّ امثالها من قصور امراء ذلك العهد ببلاد اوربَّة فكان فرش القاعات لا يزيد على الطنافس الثمينة مع مجموعات من الاسلحة تذكاراً للانتصارات الماضية. وبما ان قصر القليعة قد بُني خمايهِ مضيق بيت الشمس المؤدي الى وادي العاصي كان اشبه بقلعة منهُ بقصر ولذلك لم يكن في

داخله شيء من الزخارف واسباب الاسراف التي اشتمل عليها قصر بشراي. وكان يقيم فيه جوسلين اخصّ اصحاب الناحية (١ واعظمهم اقتداراً وكان هذا من سلالة الفوارس الافرنج القدماء الذين استوطنوا قبلًا هذه الجبال وقد ورث عن اجداده الغربيين اخلاق الحدّة والاستشاطة والاستعانة في كل حادثة بالسيف. ولم يكن ذلك لشجاعة او بسالة فيه بل لانهُ كان حقوداً محبًّا للانتقام. وعلى هـذه الطريقة كان يجري مع اتباعهِ ومع الضعفاء بالاجمال. امَّا اذا آنس من خصمهِ شدَّةً ومقاومة وعرف ان القوَّة لا تجدي نفعًا فكان يلجأُ الى الحيلة والخداع

وكان فاسد الاخلاق طمَّاعًا الى الغاية لا يفـتر عن الاعتداء على جيرانهِ ضامًّا املاكهم الى املاكهِ الواسعة قاصداً من ذلك توسيع دائرة ثروتهِ التي كانت من قبـل عظيمة غير انها اصبحت الآن عقيب فحشهِ واسرافهِ الجنوني مرهونة عند بعض المرابين من اليهود في طرابلس الشام

ومع ذلك لم يجسر على الاعتـداء على اوقاف الكنائس والاديار خوفًا من بطش المقدَّم رزق الله الذي لم يكن يصبر على شيء من هذا القبيل لا عمـلًا بعواطف دينيَّة تردعهُ. وكيف ينقاد الى صوت الديانة وكان قبلًا قد انقاد الى الشيعة اليعقوبيَّة آملًا ان يستعين بها على انفاذ مطامعهِ ونيَّاتهِ الخبيثة

وكان جوسلين هذا واجداً على رئيس دير مرت تقلا حانقًا عليهِ وسببهُ ان المزارعين في اراضيهِ كانوا يفرّون منها افواجًا لما يلقون من سوء معاملتهِ ويذهبون الى اماكن أُخرى لاجل المساقاة فيها لكنهم كانوا يؤثرون الاقامة في اراضي حصن سليمان حيث كان الاب يوحنا يعاملهم كأولادهِ. وبناء عليهِ عزم جوسلين المذكور ان يثأر لنفسهِ من الاب يوحنا فوضع يدهُ على قطعة قريبة من قصر القليعة كان جدّهُ قد وهبها لدير القديسة تقلا واحتج بعدم صحَّة الهبة وارسل رجالهُ فاستولوا عليها بالقوة

وكان الاب يوحنَّا كريمًا حليمًا يهب كل ما في وسعهِ للسائلين ويُعنى اعظم عنـاية بتخفيف بلايا البائسين ويُسعفهم على دفع غارات الحاجة جهد امكانهِ حتى انهُ اقصى الفقر اقصاء عن جيرة الدير كلها. امَّا اذا خاصـمهُ احد في حقوق الدير واملاكهِ فكان

١) كان هذا الاسم جارياً عنـد اللبنانيين في مبادئ القرن الخامس عشر. ملحج تاريخ الموارنة للدويهي ص (١٣٢).

شديدًا حازمًا لا يتنازل عن شيء منها لانهُ كان يعد كل ما للدير من املاك نصيبًا لله ووقفًا للفقراء ويعتبر نفسهُ مدبّرًا لها ومطالبًا بالمحافظة عليها فضلًا عن انهُ كان يرى ان اقلّ تهامل في امرها هو مخالف لنيّات الواهبين الذين وقفوها على الكنيسة غير مريدين اصلًا إلحاقها باملاك الظالمين المستبدين

ولهذا احتجَّ احتجاجًا حازمًا على اعتداء جوسلين ولمّا رأى انَّ احتجاجهُ لم يجدِ نفعًا لزم السكوت غير انهُ اثناء اقامتهِ في بشرّاي اطلع الامير رزق الله على اعمال جوسلين الذي كانت تكاثرت الشكايات من ظلمهِ وعسفهِ فجاء عملهُ الاخير مسعرًا لغضب الامير رزق الله الذي عزم في هذه المرّة على تأديبهِ وايقافهِ عند الحد المرسوم له. وعليه أكّد للاب يوحنا تأكيدًا صريحًا بانهُ سينظر في المسألة ويردّ لهُ الملك المغصوب فسار الاب من عنده ممتلئًا ثقةً بحسن المآل وقد قيل في الامثال الانسان يفكّر والله يدبّر وقيل ايضًا ان المستقبل لله وحدهُ فبيدهِ كل شيء.

١٠

— اعلم ان جوسلين رجل مقتدر فاحترز منهُ يا صاح. ففي هذا الزمان الذي نحن فيه لا بدَّ من ان نحسب حسابًا مهمًّا لصاحب قصر القليعة فانهُ يستطيع متى شاء ان يفرض علينا كل ما يريد من التكاليف والمشاق ويمنعنا من رعاية مواشينا في جميع اراضيهِ فحياتنا اذًا وشرفنا ايضًا وكل شيء لنا هو بين شفتيهِ. واكرّر عليك القول انهُ رجل مقتدر ومرهوب

بهذا الحديث كان يتكلّم في غابات النبي شيت راعٍ قديم الأيام اسمهُ سركيس مخاطبًا رفيقًا لهُ اسمهُ عبد الله أصغر سنًّا منهُ فهذا لمّا سمع كلام صاحبهِ اجاب قائلًا:

اعترف لك انَّ جوسلين رجل مقتدر ولا اعارضك أصلًا في أنهُ مرهوب ومخيف. امَّا كونهُ عادلًا فهو امر آخر. واعلم ان اميرنا ومولانا رزق الله هو رجل حازم للغاية لا يقوى شيء على الاعتراض في سبيل مقاصدهِ ولم نسمع ان احدًا حتى الان يشكو من عدلهِ واما جوسلين فالكل...

— ألا تعلم ان جوسلين ينتمي الى اعرق واشرف أسرة في البلاد وانَّ اجدادهُ جاؤوا من نحو اربعمائة سنة من وراء البحار فاتخذوا هذه الارض وطنًا جديدًا. ثمَّ انهُ غنيّ جدًّا...

— وماذا يهمّ الغنى والثروة وقد قال الامير « ان أحقر رعاياهُ يساوي اغنى وايسر مقدَّم تحت سلطتهِ ». وما ذلك الّا لانهُ يريد العدل لا غير

— وكيف تعمل اذا كانت لك ارض محاذية لاراضي جوسلين فامر هذا اتباعهُ ليلًا بان يغيّروا مواقع الحدود فمن اين تسترجع ارضك أما تكون قد خسرتها وتصير مضطرًا الى الصبر على البلوى دون ان تجسر على رفع صوتك بالشكوى

— وكيف يقدر على عمل كهذا. وهب اني لا املك صكوكًا ووثائق تثبت ملكيَّتي فمن اين لهُ وثائق تعارضها ؟ هذا فضلًا عن ان الناس كلهم يشهدون باني ورثت الارض من آبائي واجدادي

— لا يتجاسر احد على الشهادة لك لان خوفهم من جوسلين يُسكت كل لسان عن ان ينطق بالصدق. أو لم يكن مع الاب يوحنا وثائق تؤيد ملكيَّتهُ فايّ شيء نفعتهُ ؟ أما ان اهل جبل اللكام كلهم يشهدون لهُ ولكن ماذا اجداهُ ذلك هل وقف حاجزًا في سبيل مطامع جوسلين ؟. هذا وعليك الآن ان لا تنسى خطيبتك فاني عالم باهتمامك بها فضحِّ كلَّ شيء في سبيل استردادها

— لا ريب انَّ اختطافها من أقبح الشناعات وافظعها ألم يبقَ اذًا في جبل اللكام رجال من ذوي المروءة والاستقامة ام هل كفَّ الامير رزق الله عن الولاية. هل ماتت شرائعهُ وهجع عدلهُ. اننا من قديم نعرف لنا الحقَّ في الاحتطاب من غاباتنا غير انَّ خطيبتي دخلت سهوًا منها في حمى جوسلين فاذا كانت قد اقترفت بذلك ذنبًا فكان عليهِ ان يلزمها بالغرم. ولكنهُ بدلًا من هذا كلهِ حبسها في سجنهِ وحتى الان لم يحاكمها. ولمَّا عرف انها خطيبتي اراد في بادئ الامر ان يرهبني ثم انهُ لمَّا رأى انها جميلة احبَّ أن يغويها مريدًا ان ينزعها مني. وهل تظنّ اني اصبر على عملهِ ؟

— وماذا عسى ان تعمل ؟

— سترى ماذا أعمل لاني اذا لم أنصف غدًا اشخص حالًا الى المقدَّم رزق الله في لبنان فانهُ شديد على المذنبين وقد قضى من مدَّة بالاعدام على اثنين من المشايخ لتجرئهم على سلب ابناء السبيل. واخبرني احد اقاربي الذي عاد مؤخرًا من بشرّاي انهُ نسف برج مقدَّم ايطو نسفًا لانهُ كان يصادر المسافرين ويسلبهم. وليس جوسلين باكبر من ان ينفذ فيهِ عدلهُ. ولعلَّهُ يظنّ ان ابتعادنا عن لبنان يمنع المظلومين عن ايصال صراخهم

الى اميرهم العـادل. ولكنني سأريه عكس ما يتوهم. ثم ان الاب يوحنا الذي هو ابو جميع المظلومين وعدني بالمساعدة

— الله ومار جرجس يعينانك

ثم التفت الراعي فرأى ان قطيعهُ من الماعز قد تشتت وتبدد فالتمس العذر من رفيقــهِ وبعد ان ودّعهُ وتمنى لهُ التوفيق ذهب الى جمع الماعز وغاب عن الابصار مختفياً ما بين اشجار الغاب

امَّا الراعي عبد الله فانهُ ذهب في اليوم التـالي الى قصر القليعة فوجد الابواب موصدة كجاري العـادة فطلب من الحراس ان يرخصوا لهُ بمواجهة جوسلين فصدّوهُ واشبعوهُ ضرباً. فصمَّم حينئذٍ على الذهاب الى لبنان فحمل عصاهُ ولفَّ بعض ارغفـةٍ في فوطةٍ تزنَّر بها وسار في طريقهِ وهو ممتلئٌ رجاء واملًا في عدالة المقـدم رزق الله. وكان قد ترك وراءهُ اعزَّ الاشياء على قلبهِ اعني خطيبتهُ وقطيعهُ فكان تذكارها يجدّد قواهُ في سفرهِ الطويل الذي لم يُعانِ اعظم منهُ كل حياتهِ

١١

وكان وصولهُ الى بشرّاي يوم الاحد بعد خروج القوم من سماع القدَّاس الالهي في كنيسة مار سابا اكبر كنائس تلك المدينة. وكان المقدَّم رزق الله في جملة القوم غير انهُ خرج آخر الجميع يصحبهُ بعض الكهنة ومشايخ الجبل وامرائهِ. فبعد خروجهِ جلس في ظل سنديانة كبيرة نابتــة قدام الكنيسة وكانت هذه عادتهُ كل ايام الاحاد اي انهُ يجلس لسماع ظلامات الشعب بنفسهِ فكان كل احد يحق لهُ ان يتقــدَّم اليهِ ويعرض لهُ ظلامته دون وسيط فيفحص في الحال دعواهُ وينصفه. فلمَّا ابصر الراعي الامير رزق الله جالساً والناس يتقدَّمون اليهِ عارضين لهُ امورهم شفاهاً تقدم في جملة الناس. فقال لهُ الامير بعذوبةٍ : ما هي حاجتك

فقال : ان تنصفني ايها الامير من السيد جوسلين الذي غصبني ملكي واختطف مني خطيبتي

فقال الامير : اجلس — واشار الى حجر كبير بالقرب منهُ — وأخبرني بالتفصيل عن امرك

امَّا الراعي فامتثــل الامر وجلس وكان خائفاً مذعوراً لكنهُ ما لبث ان تشدَّد

وتشجّع واخذ يقصّ على المقدَّم رزق الله حكايته من اولها الى آخرها مازجاً اياها بتفاصيل عديدة خالية من الفائدة شان العامّة في اخبارها

وكان المقدم يسمع بانتباهٍ واصغاء كل كلمة دون ان يقاطعهُ بشيء من حديثهِ الملّ فلمّا اتمّ الكلام سكت هنيهةً ثمّ قال :

— تعدَّمت لي شكاوي عديدة على السيد جوسلين فان كان ما قلتهُ صحيحاً وثابتاً فاني غير متأخر عن عقوبتـه . ولكنك اذا كنت تخدعني وتغشني فاعلم انّ قصاصك يكون عظيماً

— اني خاضع لكل قصاص تقضي بهِ ايها الامير

— كفى اننا سننصفك . فمُذ الآن الى بلادك وتصبَّر والزم الصمت ... وعليّ الباقي . لكن اوصيك وصيَّةً واحدة واياك مخالفتها اذهب بعد اسبوعين الى قصر القليعة وقفْ على بابهِ يوماً . أفهمت . بعد اسبوعين . لا تطلب مزيد شرح

وحينئذٍ قبَّل الراعي يد المقدم وتنحى ولمّا لم يبقَ احد من ذوي الحاجات دخل المقدَّم الى قصرهِ يتبعهُ موكب من المقدَّمين والامراء وكانوا جميعاً من اتباعهِ وقد استدعاهم في ذلك اليوم لاجتماع فاتى المادة فلبَّوا كلهم دعوتهُ ما خلا السيد جوسلين

(ستأتي البقيَّة)

حلُّ مُعقَّدات

لحضرة الاب العالم اللغوي المتفنن انستاس الكرملي البغدادي

١ً (الطارمة) جاء في المشرق (٣ : ١١٢٤) ما نصهُ : « ورَصدنا اياهُ كان خلال الطارمة (؟) » هكذا بعلامة الاستفهام اثر كلمة الطارمة . قلتُ : الطارمة عندنا كلمة معروفة مشهورة يُراد بها المشى المفتوح الوجه او المشرف على الدار في الطبقة الاولى منها (galerie ouverte) ويراد بهـا المشى المبني حوالي صحن الردهات الكبرى (galerie des bas-côtés d'une mosquée) وربَّما وُضع مشبَّك منعاً لدخول ضياء الشمس الباهر للعيون (véranda) وكانت هذه الطارمات تُبنى من الخشب في الزمن القديم ويُقام في احد طرفيهـا او وسطها بناء مقبَّب . واما اليوم فتبنى من الخشب

والآجرّ. وعلى الاوّل جاء في التاج: «الطارمة بيت من خشب. فارسيّ معرَّب. نقلهُ الجوهري. زاد الازهري: «كالقبَّة. وهو دخيل» اه. قلتُ: هو دخيل فارسيّ وفارسيّتهُ «طارم» ومعناهُ الكوخ المبني بهيئة القبة والقبَّة نفسها (١. والطارمة عند الملاحين: حجرة في مؤخر المركب (rouf *ou* carrosse ; dunette) (٢

٢ً (تعريب الفاظٍ تجاريَّة شائعة عند الفرنج راجع المشرق ٣: ١١٠٣)

manifester des marchandises	عَهِد ببضائع او بمالٍ (٣		
ouvrir un crédit à qqn.	فتح اعتمادًا او باب اعتمادٍ لاحد		
lettre de crédit	كتاب ورسالة اعتماد (٤		
à forfait	قطعيّ, مقطوع	forfait	مساومة, معاملة قطعية
spéculer	ضارَبَ	spéculation	مضاربة
Réserver bon accueil à une traite	استمدّ لقبول حوالة		
protêt	احتجاج (٥	protester une lettre de change	احتجّ على السُّفتجة (٦
Poids brut *ou* net	وزن الكُلّ ووزن الاصلي	bénéfice brut *ou* net	ربح مجمل وربح خالص
sucre brut	وسكّر (خام) سكّر غير مصفّى		
lettre chargée	كتاب مُثقل (٧		

١) بالفرنسيّة cabane ; hutte à toit arrondi *ou* voûté, voûté, dôme, coupole

٢) وجاء في الص ١١٢٥ «تقدّم الحساب في الزمان (كذا) الوقت المرصود» اي ان الحساب الذي كان قد حسبهُ الراصدون سبق الوقت الذي تحقّقوهُ من الرصد بحُنيهة من الزمان. . وجاء في تلك النص ايضاً: «كان اكثر ما انكسف من قطر الشمس خمس اصابع ونصفاً على حسب التحزّي (؟)» بعلامة الاستفهام اثر لفظة التحزّي. والتحزّي التقدير والخرص وهي لفظة شائعة عندنا في تقدير عدد النخل. وكذلك شائعة عندنا لفظة الخَرْص والخرّاص

٣) وفي اللغة: عَهِدتهُ بمال: عرّفتهُ بهِ. ونقل المعنى الى التعريف لصاحب المركب بيّن واضح فصيح

٤) من اصطلاح المعاصرين. ولهُ وجهٌ فصيح ومعنى صريح

٥) وقد يستعمل التجار اللفظة الفرنجية بروتستو ونحن في غنًى عنها

٦) والسفتجة يسميها التُّجار البوليصة او البوليصة او البوليجة وهي فرنجيَّة معرّبة

٧) والبغداديون يقولون: محمَّل او فيهِ دراهم غير ان لفظة المُثقل اصحّ. لان التُّجار اول ما ابتدأوا في ارسال الدراهم الى المُرسل اليهِ كان بوضع دراهم او دنانير خفيفة الوزن ومن ذلك اشتقاق اللفظة. وعليهِ وان بدّلت الدراهم بالاوراق او الحوالات فلا بأس بابقاء اللفظة على اصل وضعها واستعمالها

recommandée متهّد (١ , مسجّل affranchie خالص الاجرة

traite كمبيالة (٢) حوالة ; lettre de change بوليصة (٣) سفتجة (بوليسة. بوليجة) ;

remise تسليم ; mandat; امر بالدفع ; billet ورقة ; effet سند, وثيقة assurer des marchandises ضمان بضائع (٤ assurance sur le vie (٥ استهاد ; prime d'assurance يمة (٦) اجرة الضمان او بدل الاستهاد ; agio باش (٧) فرق فلوس ; agiotage اتجار بالاوراق

٣َ (الطَّرَّاحة) وجاء في المشرق (٣: ٧٦٥ و ٧٧٧) ابدال لفظة الطَّراحة بالحُشيَّة او النضيدة. قلتُ: ان هاتين اللفظتين وان كانتا تُصلحان للمعنى المطلوب من لفظة الطرَّاحة فلا أرى سبب نبذها او ابدالها بلفظة اخرى. لان الطراحة ليست عاميَّة كما صرَّح بها صاحب محيط المحيط بل هي مولدة قديمة لا بل عربيَّة فصيحة. وقد استعملها ابن العبري في كتابه تاريخ الدول (ص٤٩٣) من طبعة الاب صالحاني اليسوعي اذ قال هناك: «ولمَّا وصل الكتاب الى الملك الصالح ووقف عليه وضعهُ تحت طرَّاحتهِ». وقال المقريزي في كلامهِ عن الدواوين ما نصهُ بحرفهِ: «... ديوان الجيش وفيه مستوفٍ اصيل لا يكون الَّا مسلماً ولهُ مرتبة على غيرهِ لجلوسهِ بين يدي الخليفة داخل عتبة باب المجلس ولهُ الطرَّاحة والمسند» اه. امَّا كونها فصيحة فقد قال صاحب التاج: «طرح لهُ الوسادة القاها وطرحوا لهم المطارح والمفارش الواحد مطرح كمفرش» اه. وعليهِ فقولك

١) من تمهَّد الشيء اذا تفقَّدهُ وتحفظ وجدَّد العهد بهِ. وذلك نظرًا الى ما يُبذل من الاعتناء الخصوصي للرسائل المتهدة. ويجوز لك ان تسميها بالرسائل المسجلة لان هذا النوع من الرسائل يدوَّن عددهُ في سجلٍّ للبحث عن سبب فقده عند الحاجة

٢) افرنجيَّة استعملها التُّجار ٣) مرَّ ذكرها

٤و٥) ويسمِّي التجَّار الضمان بالسيكورتا وهي لفظة ايطالية. وفي الكُتُب التي يرجع اليها في هذا الموضوع. الضمان: الكفالة وهو اعمُّ منها كما يظهر من تفسير انواع الضمان الذي منها ضمان البيع وهو كون المبيع مضمونًا بالثمن سواء كان مثل القيمة ام اقلَّ ام اكثر. والضمان خاص بالاشياء كالبضائع وسائر العروض والاموال. واما ضمان النفوس فيسمَّى «بالاستهاد». وقال اللغويُّون: استهد فلانًا من نفسهِ: ضمَّنهُ حوادث نفسهِ. ولا تبدل اللفظة بالاخرى كما فعل صاحب الضياء اذ سمَّى مطلق الضمان (السيكورتا) بالاستهاد وهو خطأ واضح لا يحتاج الى التصريح بهِ

٦) اليمة لفظة بغدادية عاميَّة محدثة مصحفة عن پريمة الافرنجيَّة. واذا اردت تعيين لفظة تُناسب الضمان فقُل قيمة او اجرة الضمان. اما «الاستهاد» فتبق بلفظة «بدل» لان النفس لا تُباع ولا تُقيَّم ولا تُوجر فتقول «بدل الاستهاد»

٧) لفظة عاميَّة بغدادية محدثة فارسية الاصل

طرَّاحة كقولك سجَّادة . وهـذه ليست مولَّدة كما ذكرها صاحب محيط المحيط اذ قال « والسجَّادة عند المولَّدين الطنفسة وبعضهم يقول سدَّاجة » قال هذا بعد ان ذكر انَّ: « السجَّادة مؤنث السجَّاد والخمرة . كأنهُ نسي ان من معاني الخمرة السجـدة وهي حصيرة صغيرة قدر ما يسجد عليهـا المصلي تُعمل من خوص النخل وتُرمل بالخيوط . سُميت بذلك لانها تستر الارض عن وجه المصلّي (محيط المحيط في خ م ر) فنقل معنى الحصيرة التي يسجد عليها الى الطنفسة التي يُسجد عليها أوَّلاً شيءٌ معهود في اللغة من باب اطلاق المقيَّد . وعليهِ فسجَّادة عربيَّة فصيحة واما سدَّاجة فهي عاميَّة لا مولَّدة كما يؤخذ من كلام صاحب محيط المحيط . وامَّا اللغة الثانية المسموعة والمنقولة الينـا فهي سُجَّادة بضم السين كما نصَّ عليها السيد المرتضى في المُستدرك . فارجع اليهِ ان شئت التحقيق

(ستأتي البقيَّة)

سكان المريخ

بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

ما لاحت انوار العصر الجديد حتى بشَّرتنا بعض الجرائد والمجلات باكتشافٍ عظيم عدُّوهُ احسن مفتتح للقرن العشرين وتفاءلوا بهِ ولا تفاؤل اهـل القرن الخامس عشر باكتشاف اميركة . وان سألت ما الخبر أجبناك : افرح وتهلَّل ايها الانسان فانك لست وحدك منفيًّا في فضاء الجوّ ولك رفقةٌ مثلك يعيشون في الافلاك التي تراها عينك في حلكة الليل ولعلَّك عمَّا قريب تباحثهم ويباحثونك وتكشف لهم اخبار ارضك كما وهم يكشفون لك ما انطوى من اخبارهم العجيبة

وكأنّي اراك ايها القارئ العزيز تهزُّ برأسك متهكمًا فتقول : واي دليل على ذلك فانَّ المشرق واصحابهُ لم يعوّدونا حتى الآن على الافك والكذب . قلتُ : وما كنتُ ايضًا لأُصدّق خبرًا مثل هذا حتى وجدتُهُ في عدَّة نشرات ولم تأنف جرائدنا الشرقيَّة من ذكرهِ فطلبتُ مثلك بيّنة على صحَّة هذا القول ولم ازل اقصُّ آثار الرواة لعلّي ابلغ اوَّل حلقة من هذه السلسلة المتواصلة فوجدتُ انَّ منبع الخبر من اميركة . فسُرّي عني لعلمي بانَّ العالم الجديد هو ايضًا عالم العجائب فصمَّمت على السكوت وانا عارف بانَّ اراجيف

كهذه لا تلقى قلباً واعياً. ولكن ما مرَّ عليَّ بعض ايام حتى فهمت انني اتّهمتُ الاميركيين هذه الدفعة تهمةً باطلة وان ما رووا كان صحيحاً في اصلهِ الَّا انَّ ارباب الجراند تأولوا لهُ تأويلات اخرجتهُ الى حيز الترَّهات . وهاك صادق الخبر

لمَّا كانت ليلة ٨ كانون الاول انبأ المسيو دوغلاس في مرصد اريزونا من الولايات المتحدة زميلهُ المسيو بكرنغ في مرصد هارورد بظاهرة عجيبة عاينها في سيارة المريخ. فنقل المكتب العام الموجود في كيل هذا الخبر كالوف عادتهِ واعلم بهِ بقيَّة المراصد الاوربيَّة بلسان البرق. وكان منطوق النبإِ التلغرافي على هـذه الصورة: « قد حدث في الشاطئ الشمالي من البحر الايكاري (احد انحاء المريخ) ظواهر نوريَّة ساطعة دامت ٧٠ دقيقة ». فلما اطلعت الجراند على هذا الكلام الوجيز حتى اسرعت الى تدوينهِ وهي لا تعلم شيئاً من اصطلاحات الفلكيين فقالت: « قد اتحف اهل المريخ كرتنا الارضيَّة بارسال انوار كهربائيَّة اليها ». وبين المعنيين كما ترى بون شاسع

فكان لهـذا النبإِ البرقيّ في القلوب وقع كبير وخاضت الجراند في مجال الاوهام وكرَّروا ما كتبهُ بعض اصحاب الاقاصيص عن سكان السيارات بل بلغ الهوس بالبعض الى ان شرعوا يبحثون على طريقة لمخابرة هؤلاء الاخوان المجهولين فمنهم من ارتأى ان يزرعوا غابات كبرى في مجاهل افريقية او مفاوز اميركا ليرى المريخيون اشكالها الهندسية ويعرفوا بذلك اننا ادركنا وجودهم. ومنهم من اقترح اصطناع نظّارة مقرّبة اضخم من كل النظّارات السابقة لرصد حركاتهم ووضع اشارات من الالوان المختلفة لنخابرهم كما يتخابر اهل البحر عن بُعد. ومنهم من حاول منذ اختراع التلغراف بلا سلك ان ينصب سارياً يبلغ علوُّهُ الف متر لمراسلة اصحابنا المريخيين فنصبر على النوى ريثما يجد احد العلماء مركبة جويَّة تسمو بنا يوماً ما الى سطح هذه السيَّارة كما اخبر القصاص جول ڤرن عن القمر

ولقائل يقول قد عرفنا انَّ ما رواه كتبة الجراند كذبٌ حنبريت ولكن ما هـذه الظواهر النوريَّة التي لاحت للمسيو دوغلاس في مرصد أريزونا أفيكون معلولٌ بلا علة

نجيب انَّ هذه الانوار المريخيَّة قد شاهدها العلماء منذ نحو ٤٠ سنة ثم عاينوها المرَّة بعد المرَّة الَّا انَّ احد ائمَّة الفلكيين في فرنسة المسيو پروتين (Perrotin) اكثر من رصد المريخ في سنة ١٨٩٢ في مودون (Meudon) فوصف هذه الانوار واخذ منها

وسوماً فحصها فحصاً مدققاً أدّى به الى تعريف اصلها وسببها فقال ما ملخصهُ: « ان في طبقات سيّارة المريخ العليا غيوماً متجمدة الدقائق لعلوّها فاذا انارت الشمس باشعّتها هذه السحب انعكس نورها الى ارضنا فظهرت للراصدين على اشكال شتى تترجرج مع حركة الغمام ». وهو رأي لا يخلو من الصواب يقرّبهُ الى الفهم ما نراهُ على سيّارتنا نفسها من تراكم السُّحُب في اعالي الفضاء وانعكاس اشعّة الشمس عنها في بعض فصول السنة فلو وُجد في المريخ راصد يرصد احوالنا الجويّة لرأى ما نراهُ منهُ في مسترقد نظّارتنا المكبّرة. وقال غيرهُ بل الاحرى ان يُقال انَّ الانوار ناجمة عن انعكاس اشعّة الشمس عن قمم جبال المريخ واطوادهِ الباسقة التي تنتصب في عنان السماء كجبال حملايا في ارضنا او أعلى والحركات المرصودة ناجمة عن تنقل المريخ ودورانهِ حول الشمس حسبما تقع اشعّتها على اقسامهِ المختلفة

وهنا مسئلتان لاحقتان بموضوعنا احببنا ان نعرضهما على القرّاء ونبحث فيهما مليًّا. الاولى عموميّة هل من مانع يمنع عن القول بان للنجوم والسيّارات سكّانًا. والثانية خصوصيّة هل يمكن بشرًا مثلنا ان يسكنوا المريخ

نجيب على الاولى انَّ هذا بحثٌ تجاذب اطرافهُ كبارُ العلماء فوضعوا فيهِ التآليف العديدة فنهم من اثبت ومنهم من انكر. فالمثبتون يرون انهُ من المحال انَّ أُلوف الوف من الاجرام الفلكيّة التي اكثرها يفوق ارضنا عظمًا وشأنًا تبقى خاوية خالية من احياء ناطقين يخلقهم الله ليسبّحوهُ في هذه الافلاك كما يسبّحهُ عبادهُ على الارض. يقولون انَّ كرتنا ليس لها من الخواص ما يفرزها عن غيرها ليصطفيها الله ويجعلها سكنًا لخلقهِ دون سواها. او ليس اجدر بجلالهِ تعالى ان يجعل في هذه العوالم مخلوقات ناطقة تجارينا في الاعمال الشريفة لاسيما خدمتهِ عزَّ وجلَّ؟ ولعلَّ صاحب المزامير اشار الى هذه الحقيقة حيث قال (١٨ : ٢): « ان السماوات تذيع مجد الله والفلك يخبر باعمال يديهِ »

هذه اخصّ الادلّة التي يستند اليها بعض الكتبة ومنهم كاثوليكيون اورثذكسيون لا شبهة في ايمانهم . لكنَّ المنكرين يبطلون هذا القول ببراهين اخرى فيقولون انَّ كل هذه تخيلات وهميّة لا صحّة لها وانَّهُ لا يسوغ لنا ان ننسب الى الله افكارنا البشريّة فانَّهُ تعالى حرٌّ كما انهُ حكيم يفعل ما يشاء وكما يشاء. فلا حاجة ان يصنع ما نراهُ نحن

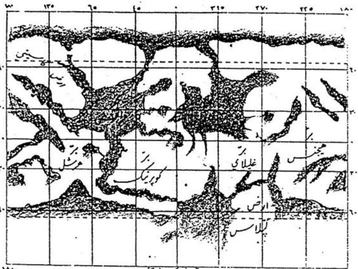
الأحسن فكماهُ عزَّ وجلَّ ان يظهر في ارضنا كنوز مواهبه واسرار نعمه فان فضَّل عالمنا على غيره فما ذلك الّا ليكشف لنا شيئاً ممّا يستطيع ان يفعلهُ وقدرتهُ لا يحصرها حاصر . امَّا قول النبي داود فيصدق ايضاً مع خلوّ الاجرام السماويَّة من السكّان او ليس الجماد يسبّح الله حسب طبيعته فضلًا عن انَّ البشر اذ يطلقون طائر الفكر في هذه النجوم الزواهر ويبحثون عن صفاتها لا يتمالكون من تمجيد الله فيها . فيصرخون مع صاحب الزبور (مز ١٤٨ : ١–٣) : سبّحوا الله في الاعالي ... سبّحيه ايتها الشمس والقمر سبّحيه ايتها الكواكب

فترى من القول السابق انَّ لكلا الرأيين سندًا لا يمكن احدًا ان يبتَّ فيهما حكماً. وغاية ما ينبغي للكاثوليكيّ ان يعتقدهُ سواءُ قال بوجود مخلوقات ناطقة في الاجرام العلويَّة او لم يقل انَّ سكّان هذه الكواكب ليسوا من نسل آدم وانَّنا لا نعرف ما هم عليهِ بالنسبة الى معرفة الله ووحيهِ واسرارهِ

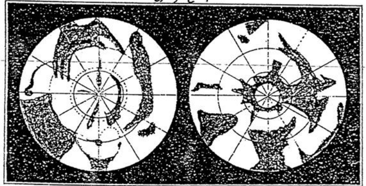
وان تخطَّينا الى المطلب الآخر اعني هل يمكن لبشر مثلنا متصفين بخواصنا الجنسيَّة والنوعيَّة ان يعيشوا في المرّيخ اقتضى لنا ان نورد قبل الجواب على ذلك شيئاً من احوال المرّيخ لنقابل بينها وبين شؤون ارضنا فنقول :

انَّ المرّيخ اول السيَّارات العليا التي تدور خارج فلك الارض مع دورانها حول الشمس . واوَّل ما يستلفت النظرَ اليهِ في هذه السيَّارة لونها الاحمر ولذلك قد اعتبر الاقدمون المرّيخ كالهِ الحرب للونه الدموي . لكن من يرصد سطح هذه المتحيّرة بالنظّارة الكبرى يرَ لها ايضاً بُقعاً سودًا ونكتاً رماديَّة او ضاربة الى الخضرة امَّا القطع الحمرة فقد اجمع العلماء على انها قارات المرّيخ وبرُّهُ كما انهم قدَّروا انَّ بقعهُ السود والخضر هي اوديتهُ وبحورهُ . وللمرّيخ عند قطبيه فسحتان مختلفتا الكبر لها بياض ساطع رجَّح الفلكيون كونهما مسافات متسعة يتغلب عليها البرد القارس والجليد والثلوج الغراء . والدليل على ذلك انَّ هذه المفاوز تتقلَّص وتقصر في بعض الفصول بقوَّة اشعة الشمس التي تذيب منها قسماً . والجليد والثلج وبحور المياه كلّ ذلك دليل واضح على انَّ للمرّيخ جوًّا كجوّنا يحيط بهِ فتتوالى عليهِ الظواهر الجويَّة التي نراها في ارضنا كالهواء والغيم والمطر وغير ذلك

ومن خواصّ المرّيخ التي تقرّبهُ الى الارض انَّ بين دورانهما على محورهما تشابهاً .



رسم سطح كرة المريخ



رسم نصفي كرة المريخ



كبر المريخ بالنسبة الى الارض

فانّ دوران الارض يوميًا يتمّ باربع وعشرين ساعة ويوم المريخ بنحو ٢٤ ساعة و ٤٠ دقيقة. فتكون النواشئ الجوّية الناتجة عن هذا التشابه متناسبة ايضًا كتعاقب الليل والنهار وطلوع الشمس وغروبها وطلوع الكواكب فانّ كل هذه الاجرام تظهر للمريخ كما تظهر لنا وفي اوقات مناسبة للاوقات التي تمر علينا الّا في اشياء طفيفة

وزد على ذلك انّ المريخ كثيف كالارض لهُ مثلنا نورٌ مستعار من الشمس الّا انهُ لا يُكسف عنّا البتة كسوفًا تامًّا لوقوعهِ خارجًا عن فلكنا لكنَّهُ ينقص نورهُ فقط ويظهر محدَّبًا اذا كان في التربيع فيُرى مثل القمر قبل تمامهِ بثلاثة ايام ولذلك كان الاقدمون يلقّبون المرّيخ بالاحدب. ويُشبه ايضًا المريخ ارضنا بميلهِ على فلكهِ الذي يبلغ ٢٤°٥٢َ وميل الارض على سطح منطقة البروج ٢٣°٢٧َ

هذه اخصّ الوجوه التي تشابه بها سيّارتنا سيّارة المريخ على أنَّهُ فيهما ايضًا من الاختلافات العظيمة التي تجعل بينهما بونًا شاسعًا مع كون المرّيخ اشبه السيارات بارضنا كما سبق. واول هذه الاختلافات بُعد المرّيخ عن الشمس فان المسافة بينهما تبلغ ٢٢٧ الفَ الف كيلومتر وهي لا تتجاوز ١٤٩ الفَ الفٍ بين الارض والشمس. فينتج عن ذلك اختلافات اخرى كطول دورانهِ السنويّ حول الشمس فانّ سنتهُ قرب ضعف سنتنا لانها تدوم ٦٨٧ يومًا من ايّامنا او ٦٦٨ من ايّامهِ وقد سبق القول انها اطول من ايامنا. وكذلك يزيد كلُّ فصل من فصولهِ الاربعة على فصولنا فيدوم نحو خمسة اشهر ونصف وليس بين الفصول من التساوي ما نجدهُ في ارضنا فانّ ربيع المريخ وصيفهُ يدومان ٣٠٦ ايام امّا خريفهُ وشتاؤهُ فيبلغان ٣٨١ يومًا. ثم انّ الصيف والشتاء في جهة الشمال اشدّ منهما في جهة الجنوب ومجمل القول ان المرّيخ لا ينالهُ من حرارة الشمس الّا ثلث حرارتنا

ويدور المرّيخ حول الشمس على شكل اهليلجي فيقترب منها او يبتعد حسب أطوار سنتهِ بحيث يصبح الفرق بين معظم بعدهِ عنها واقلّهِ ٤٢ مليونًا من الكيلومترات

ومن الاختلافات الواقعة بين المرّيخ وكرتنا صغر المرّيخ بالنسبة الى ارضنا فانّ قطرهُ نصف قطر ارضنا بنيّف قليل وكذلك جرمهُ لا يبلغ الّا ١/٧ جرم الارض وثقلهُ النوعي ١/٩ ثقلها فيحصل من ذلك ان الثقل على سطح المرّيخ اخفّ منهُ على سطح

الارض فيمكن لرجل يرفع بيده في ارضنا ٣ اواق ان يحمل ٩ لو وُجد في المرّيخ

امّا سرعة حركة المرّيخ في دورانها حول الشمس فهي ايضًا اخفّ من سرعتنا فانها بالنسبة الى ارضنا نحو ٨/٣ سرعتها

وزد على ذلك انّ المرّيخ ليس لهُ قمر يدور حولهُ كقمرنا فيلطّف سواد ليله المدلهمّ لكنّ نور الشمس ينعكس من ارضنا اليهِ فيرى من نورها فوق ما نرى من نورهِ ضعفين. وقد تفرّد ايضًا المرّيخ بشبه تُرَعٍ او خلجانٍ تُرى فيهِ كأنها الجداول المتّسعة تدرُّ العلماء رُحبها بالوفرِ من الاميال وسرُّها لا يزال مكتومًا حتى اليوم فقيل انّها مياه تمتدّ في بعض الاوان وتجزرُ في أُخرى. وقيل انّها غابات واحراج والله اعلم

فهذا قول مجمل في احوال المرّيخ ووجوه التشابه والتباين التي بينهُ وبين ارضنا. فهل يا تُرى لو وجد في المرّيخ بشرٌ مثلنا لا يختلفون عمّا نحن فيهِ في ارضنا من حيث النفس والجسم والتأثيرات الحسيّة استطاعوا ان يعيشوا كما نعيش نحن في سيّارتنا ؟

فجواب العلماء على هذا السؤال بالايجاب لانّ المرّيخ لا ينقصهُ شيء من اللوازم الجوهريّة لمعيشة الانسان كالهواء والماء. ومن المحتمل ان يكون ايضًا فيهِ النبات للقوت وان لم يمكن القطع بذلك. ولكن لا غرو انّ الحياة تكون في المرّيخ كثيرة الاوجاع عديدة المصائب لاجل الاختلافات التي عاينّاها بين الارض والمرّيخ. وعلى كل حال انّ ابحاثًا مثل هذه لا يمكنها ان تكون إلّا افتراضات وتخيُّلات محضة تشغل عقول البشر دون فائدة كبرى. والله المرشد لعبادهِ

اليوبيل الجديد

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

افادتنا اخبار رومية العظمى بان امام الاحبار بعد ان ختم اليوبيل القرني في امّ المدائن تعطّف بتمديد هذا الزمن الميمون لجميع العالم الكاثوليكي لينال كلّ المؤمنين حتى اقاصي الارض من بركاتهِ حظًّا وافيًا. وقد عرِّب البشير الاخير (٤ شباط ١٩٠١) البراءة البابويّة التي تمنح لسائر المعمور هذه الهبات الروحيّة والنعم الخلاصيّة وعمّا قليل سينشر نيافة القاصد الرسولي السيد الجليل كرلوس دوڤال منشورًا في هذا الخصوص

ليعان به اليوبيل المذكور ويحدّد زمانهُ وشروط اكتساب غفارينه. فانتهزنا نحن ايضاً هذه الفرصة لنبحث في مجلة المشرق بحثاً علمياً موجزاً عن اليوبيل وتاريخهِ وخواصهِ وشروطهِ العموميَّة فنقول وعلى الله الاتكال

١ اليوبيل قبل المسيح

اعلم انَّ للامم والشعوب مواسم وأعياداً كما للافراد فمنها سنويَّة ومنها ما يعود بعد ردحة من الدهر كل خمس سنوات او عشر سنين او عشرين سنة يختلف ذلك على اختلاف الاقطار والازمان. فكان لقدماء الكلدان مظاهر انشأها ملوكهم واحتفلوا بها في بعض السنين بافراح عظيمة غير مألوفة وكان الملوك يتحون رعاياهم من النعم الفائضة والسوابغ الجزيلة ما يجذب اليهم القلوب ويزيد الناس تعلّقاً باريكتهم

وكذلك ترى عند قدماء المصريين عيداً اشبه باليوبيل كانوا يقيمونهُ للفراعنة اذا ما بلغوا السنة الثلاثين من ملكهم. وهو اكتشاف حديث وقف عليهِ علماء العاديَّات المصريَّة وبيَّنهُ آخراً المعلم غيليوم شپيغلبرغ (١ في مقالة لهُ في هذا الصدد. وكان هذا اليوبيل المصري يدعى « عيد الذَّنَب » يريدون ذَنَب ابن آوى. لان ابن آوى كان عند المصريين اشارة الى الملك وجلوسهِ على منصَّة الملك وكانوا يتخذون لذلك اذناباً لبنات آوى يأتزرون بها او ينشرونها كرايات يتيمَّنون بها

وكان للقديونيين ايضاً نوع من اليوبيل يعود في ازمنة محدودة تُمنح فيه للعيال القديمة امتيازات خاصَّة وتستردُّ الأُسر الشريفة قسماً من املاكها السابقة اللهمَّ اذا فقدتها لحدثان الدهر ليس لجناية اقترفتها. ولعلَّ ليكورغس مشترع اللقديونيين اخذ هذه السنَّة من الشريعة الموسويَّة كما سترى

على انَّ الله عزَّ وجلَّ لم يحرم شعبهُ من هذه النعمة الجزيلة. والحق يُقال ان الربَّ سنَّ على اسرائيل اليوبيل المقدس على طريقة تفرَّد بها شعب الله بحيث يصحُّ القول انَّ اليوبيل من خواص الشريعة الموسويَّة وامتيازاتها العجيبة. وما اسم اليوبيل عينه الَّا لفظة عبرانيَّة (יובל) معناها التهليل ونشيد الفرح من فعل يَبل (יבל) اي رفع عقيرتهُ ناشداً (٢

١) راجع العدد الاول من السنة الرابعة من مجلة Orient. Litteratur - Zeitung IV, 1901 p. 16

٢) وجاء في مجلة المحبة في عددها ٦١ ص ٦٥٨ ان اليوبيل « معناها الحقيقي قرن الكبش » وهو تأويل غريب في بابهِ

وكان هذا اليوبيل يرجع بعد سبع سبوت من السنين اي كل خمسين سنة (راجع سفر الاحبار ٢٥: ٨ وسفر العدد ٣٦: ٤) وكانوا يفتتحونهُ في اول السنة العبرانيَّة اي في هلال تشرين الاول ويدوم عاماً كاملاً. وكان الكهنة يعلنون بهِ في كل تخوم اسرائيل وينفخون بالابواق الفضيَّة المقدسة في يومهِ الاوَّل المعروف بيوم الكفَّارة. وللسنة اليوبيليَّة رسوم واحكام منها ما يتفق مع رسوم السنة السبتيَّة العائدة كلَّ سبعة اعوام ومنها ما يختص بالسنة اليوبيليَّة وحدها. فالرسوم التي تشمل السنتين كانت الامتناع عن زرع الارض وتركِ اثمارها للفقراء. ثمَّ استماع شريعة الربِّ في عيد المظالّ (تث ٣١: ١٠ — ١٣) وتأجيل استقضاء الديون. امَّا الرسوم الخاصَّة باليوبيل فكان اولها اعتاق كلّ العبيد الاسرائيليين ثمَّ اطلاق كلّ الديون والمسامحة بها. ثمَّ اعادة الاملاك المنتقلة بالبيع والشراء وغير ذلك الى اصحابها الاولين لتبقى الاسباط في الحدود التي عيَّنها لها موسى كليم الله عليهِ السلام ولا تختلط العشائر ولا تزيد ثروة الخاصة فيلتهم بعض المتمولين انصباء العامَّة

واستمرَّ شعب اسرائيل جاريًا على احكام الله في امر اليوبيل حتى زمن الجلاء البابليّ ولا نرى بعد ذلك اثرًا لليوبيل الموسوي لما طرأ على بني يهوذا واسرائيل من الطوارئ وتقلُّب الاحوال فلم يَعد يمكنهم ان يجروا على فرائضهِ الَّا القليل منهم

٣ اليوبيل في العهد الجديد

لكنَّ الله الذي اصطفى كنيستهُ لتقوم مقام الشعب الاسرائيلي واتاح لابنائها النعم الروحيَّة بدلًا من المواهب الزمنيَّة المعطاة لليهود جعل ايضًا للنصارى يوبيلًا اي يوم بهجة وفرح يفوق اليوبيل الموسوي الذي لم يكن سوى رمز عن اليوبيل المسيحي كما كان العهد العتيق رمز العهد الجديد وصورتهُ (راجع الرسالة الاولى لاهل كورنتس ف ١٠ ع ١١)

نعم انَّ اليوبيل الحديث لا يأمر باراحة الارض عن زرعها واعتاق العبيد واعادة الاملاك لاصحابها الاوَّلين وكل هذه انعامات جسديَّة ماديَّة زائلة ليس تحتها طائلٌ كبير وانما يمنح ما هو فوق ذلك فانَّهُ يُصلح الانسان مع الله وينقذهُ من رقّ عبوديَّة الخطيئة ويعيد لهُ ما فقدهُ بذنوبهِ من الحقوق السامية كسكون الروح القدس في قلبهِ بالنعمة والانتفاع باستحقاقات المسيح واوليائهِ والتمتُّع بحقوق ابناء الله ووراثة ملكهِ السماوي

وان قيل وهل المسيح انشأ بذاتهِ هذا اليوبيل الجديد وهل من اثرٍ لهُ في الاناجيل المقدَّسة. اجبنا انَّ اليوبيل كما سترى مسامحةٌ وصفحٌ وغفران وكلُّ ما كان على هذه الصفة قد سلَّمهُ الرب لكنيستهِ يوم قلَّد بطرس هامة الرسل مقاليد ملكوت السماوات ثم وعدهُ انَّ كلَّ ما يحلهُ او يربطهُ في الارض يكون محلولًا او مربوطًا في السماوات (متى ١٦: ١٩). ولمَّا كان بطرس قابل الموت ينتهي حكمهُ بالوفاة مع انَّ الكنيسة باقية الى منتهى الدهر دون ان تقوى عليها ابواب الجحيم اقتضى الامر ان يكون السلطان المعطى لبطرس ليس مخصوصًا بهِ شخصيًّا بل فوِّض لهُ كرأس الكنيسة المنظور يدوم في خلفائهِ الجالسين شرعيًّا على كرسيهِ بعدهُ اعني الاحبار الرومانيين. وعليهِ فحقٌّ لرؤساء الكنيسة الرومانيَّة ان يقرّروا هذا اليوبيل ويجدّدوا نعمهُ ويبيّنوا شروطهُ فيحلُّوا او يربطوا كما شاءُوا عملًا بامر الرب

وقد ارتأى الاب بتافيوس الشهير ان الرُّسل اقاموا مباشرةً بحفلاتٍ شبيهة بحفلات اليوبيل كما انهم منحوا الغفران عن آثام اقترفها المجرمون من المؤمنين (طالع ٢ كو ٢: ١٠). ومما لا يشتبه فيهِ ان زيارة رومة وكنائسها الملكيَّة عُدَّت منذ القرون الاولى من النصرانيَّة كاقرب الوسائط للتكفير عن الذنوب. لنا في اقوال بعض الآباء واعمالهم ما يشهد لنا على ذلك شهادة صدقٍ (١

ألَا ان الاثر الاول الذي انبأ بهِ التاريخ عن اقامة يوبيل نظامي حافل يرتقي الى السنة ١٠٠٠ لمَّا فتح البابا سلفيسترس الثاني كنوز النعم الروحيَّة للشعوب النصرانيَّة بعد ان ساب الناس من الهلع والخوف ما اصاب لتوهّمهم انتهاء العالم في تلك السنة. فلبّى المسيحيُّون دعوة الحبر الروماني وتقاطروا أفواجًا من كلّ فجٍ وأوب الى المدينة المقدَّسة ليتبركوا بزيارة قبرَي الرسولين بطرس وبولس ويربحوا النعم التي جاد بها الكرسي الرسولي على من قام ببعض المبرَّات من أصوام وصدقات وصلوات

ومنذ ذلك الحين جرت عادة الشعوب في افتتاح كل قرن جديد ان يتألبوا في ام المدائن لاداء المناسك الدينيَّة وربح الغفران عن الآثام بالتوبة النصوح. لكنَّ ائمَّة الاحبار لم يصدروا في ذلك براءة يستند اليها الخلف ويتخذونها كقاعدة يُرجع اليها في هذا الصدد. فبقي اليوبيل القرني كتقليد يُعلم بهِ الاباء ابناءهم الى أن وقعت السنة ١٣٠٠

١) راجع مكتبة العلامة فرَّاري Ferrari : *Bibl. canon.* s. v. *annus sanctus*

ففي غرّتها قدم رومة عدد غفير من الزوار لينالوا الغفران عن خطاياهم كما سمعوا عن اجدادهم في القرون السابقة. فلمّا رأى البابا بونيفاس الثامن جموعهم نشر براءته الشهيرة « Antiquorum » اثبت فيها التقليد القديم الناطق بالنعم الممنوحة في مفتتح كلّ قرن جديد لمن يزور كنائس رومة العظمى. ثم قرّر الشروط المفروضة لنوال هذه المواهب السنيّة وكان اخصها القدوم الى رومية والصلاة في امهات كنائسها

فما بلغت هذه البراءة مسامع النصارى حتى قام المؤمنون من الخافقين ويمّموا المدينة المقدسة جماهير مجمهرة لاكتساب الغفران اليوبيلي وقد شهد اصدق المؤرخين ان معدّل الزوّار الذين دخلوا رومية في تلك السنة لم يقلوا في كل يوم عن مئتي الف. ومن اعجب الامور انهُ لم ينقصهم جميعاً مع كثرتهم شيء من اسباب المعاش. واهتمّ الحبر الروماني بالّا يعوزهم شيء. وانفق عليهم من ماله الخاص (١

ولمّا رأى احد خلفاء بونيفاس الثامن ما نجم من الخير العميم للمؤمنين من جرّاء يوبيل سنة ١٣٠٠ احبَّ ان يجدّد هذه الحفلة بعد نصف قرن تشبُّها باليوبيل الموسوي الواقع في كل ٥٠ سنة. ثم استطال المؤمنون هذه المدة وطلبوا من اوربان الثامن ثم من بولس الثاني فاجابا الى ملتمسهم وجعلها الاول في كلّ ٣٣ سنة اكراماً للسنين التي قضاها المسيح على الارض وحصرها الثاني في مدّة كل ٢٥ سنة اي في ربع كل قرن. وهي العادة الجارية اليوم حافظت عليها الكنيسة منذ القرن الخامس عشر (٢

---

١) وعليهِ فلا صحّة البتّة لما كتبتهُ « المحبة » في هذا الصدد (٢ : ٩٥٩) قالت نزع الله من قلب اصحابها روح البغض للكنيسة الكاثوليكية: « وكان ذلك الاحتفال سبباً لاستدرار الحسنات والهبات فتجمع منها قدر عظيم وذلك ما حمل الالمان على تسمية تلك السنة سنة الذهب (وهذا لم يَقُلهُ الّا بعض البروتستانت اعداء الكنيسة الكاثوليكيّة ولم يقولوه عن هذه السنة بل عن يوبيل آخر بعده) وكأن ذلك الدخل الوافر (وقد رأيت انهُ لم يكن دخلٌ بل نفقات وكلَف) راق في اعين القائمين بذلك الاحتفال فعقدوا النيّة ان يجدّدوهُ كلّ قرن . . . » وفي مقالتنا ما يشهد بان اليوبيل سبق السنة ١٣٠٠

٢) ومن اليوبيل الديني اشتقّ الملوك والعظماء والجمعيات اليوبيل المدني الذي جرى في ايّامنا فمنهُ ما يقام كلّ مئة عام وهو اليوبيل القرني ومنهُ ما يحتفل بهِ كل ٧٥ عاماً وهو اليوبيل الالماسي او كلّ ٥٠ عاماً وهو اليوبيل الذهبي او كل ٢٥ عاماً وهو اليوبيل الفضي. كما جرى في السنة المنصرمة للحضرة السلطانية لمّا جرت تلك الحفلات الشائقة بفرصة جلوسها المأنوس على اريكة بني

ثمّ رأى الاحبار الرومانيون الاجلاء ان كثيرين من المؤمنـين لا يمكنهم مهاجرة بلادهم وترك اشغالهم لزيارة مدينة رومة فاخذوا مُنذ عهد البابا نيقولا الخامس ينعمون باليوبيل على كل النصارى المنبثين في اربع خوافق المسكونة بعد الاحتفال به في رومة الشريفة . وربّما اعلنوا باليوبيـل لجميع المؤمنين دون ان يعقدوا حفلتهُ في رومة كما جرى في عصرنا لمّا توالت على الكنيسة الرومانيّة المحن والاضطهادات فانّ آخر يوبيـل أُقيم في رومة قبل يوبيلنا الحالي وقع في سنة ١٨٢٥ حضره* لاون الثـالث عشر وهو في ريعان الشباب

ثمّ اعلم انهُ يوجد ما خلا هذا اليوبيل العادي الذي يقع في سنين محدودة يوبيل آخر خارق العادة يمنحهُ رأس النصرانيّـة وحبرها المعظم في بعض الازمنة منها اليوبيل الذي يتكرّم به كلّ بابا جديد لسائر المسكونة بعد جلوسه المأنوس على المنصّة البطرسيّة استمطارًا لنعمه تعالى على الحبر الجديد

ومن اليوبيلات ما يجهر به الاحبار الرومانيّون عند مسيس الحاجة لردّ غضبـه تعالى ودفع البـلايا والطاعون والزلازل وغير ذلك من الاحوال الحرجة التي تستدعي التوبة والاعمال الصالحة

٣ الرتب الدينية الجارية في حفلة اليوبيل

لافتتاح اليوبيل في مدينة رومة رتب شائقة وطقوس بهيّـة اعتادها خلفاء هامة الرسل رأينا ان نذكر شيئاً منها بالتلخيص

يكون افتتاح اليوبيل عادةً في بيرامون عيد الميلاد ويدوم الى مثله من قابل . فاذا حان الوقت المعيَّن توشّح الحبر الاعظم بافخر حلاه البابويّة ولبس التاج المثلّث المرموز به عن ملء سلطانه وحُمـل في منصته . ويسير امامهُ موكب عظيم من حرسه السويسري بسيوفهم المشهورة وشُرطه الحبريّة وحجّاب بلاطه وجماعة امرائه الشرفيّين وجماعات أُخر عديدة خاصّة بخدمتـه ولكلّهم ملابس رسميّة يختصون بها من سُتر وسراويلات وطيالس وقلانس واسلحة غاية في الابهة تأخذ بابصار الناظرين . ثمّ يتبع هؤلاء جمهور الاكليروس القانوني وغير القانوني ثمّ رؤساء الرهبانيّات ثم الاساقفة ورؤساء الاساقفـة

* منذ ٢٥ سنة . ومن غريب الامور انّ البروتستانت الذين كانوا سابقًا يندّدون بالكنيسة الرومانية لاتيانها اليوبيل اتخذوهُ ديدنًا كنيرهم

والبطاركة ولفيف الكرادلة كلٌّ بحسب مرتبتهِ ثمَّ امام الاحبار نائب المسيح ويحضر هذه الحفلة كل السفراء ومعتمدي الدول لدى الكرسي الرسوليّ فضلاً عن اعيان جميع الملل النصرانيَّة

واذا انتهى الموكب المذكور من البلاط الفاتيكاني الى السُّلَّم الملكي بازاء كنيسة مار بطرس قابلَ بابَها الكبير الذي لا يُفتح الَّا في سنة اليوبيل . وفي فتحهِ اشارة الى المسيح الرب الذي قال (يوحنا ١٠ : ٩) : « انا هو البـاب ان دخل بي احد يخلص » . ولفتح الباب المذكور طقس خصوصي وصلوات يتلوها الحبر الاعظم بجلال ثم يطرق باب الكنيسة ثلاث دفعات بمطرقة ذهبيَّة وهو يقول في اثنـاء ذلك آيات من الكتاب المقدَّس كقول داود : « افتحوا لي ابواب العـدل حتى اذا دخلت امجّد الرب واعظّمهُ » وآيات أُخر بمعناها . فالحال يحضر العملة فيهدمون الباب بسرعة وقداسة البابا ينتظرهم جالساً على عرشهِ فاذا انتهوا من العمل تقدَّم كردينالان وغسلا عتبة الباب بالماء المصلى عليهِ ثمَّ يترنم البابا بمزمور داود « سبّحوا الرب ايها الامم » فيتبعهُ جوق المرتلين بمدهُ

وبعد ذلك يخلع البابا تاجهُ ويعطى بيمناهُ الصليب المقدَّس وبيسراهُ شمعةً مضيئة ويجثو راكعاً على عتبة البـاب يصلّي مليًّا بينما ينشد المرتلون تسبحة الشكر . ثمَّ يقوم قداسة الحبر الاعظم ويدخل من الباب المقدَّس وحدهُ وامام الجميع ويدخل على اثرهِ لفيف الكرادلة وجميع اصحاب الرتب والمناصب ثمَّ الشعب المسيحي الذي يبلغ عادةً بين الخمسين الفاً والمئة الفٍ . وفي تلك الساعة تُقرع كلّ اجراس المدينـة المقدَّسة فيحصل من اصواتها الرنَّانة تأثير عظيم في القلوب

وعند بلوغ الحبر الاعظم صحن الكنيسة يتقدَّم اليهِ كبار متوظفي الاخويَّات الرومانيَّة فيعهد اليهم بحراسة البـاب المقدَّس طول مدَّة السنة اليوبيليَّة ويلقي عليهم خطاباً ليبيّن لهم عظم شأن هذه المهنة . ثم يواصل سيرهُ الحافـل الى الهيكل الكبير فيمنح منهُ البركة الرسوليَّة لجميع الحضور وهكذا تتمّ هذه الحفلة الجليلة

وفي ختام السنة اليوبيليَّة حفلة ثانية مثل هذه فيقفل الباب المقدَّس وذلك انَّ الحبر الاعظم يُلقي بمالج ذهبي شيئاً من الكلس على عتبة الباب المقدس ويجعل فوقهُ قطعاً من الآجرّ المذهَّب يُنقش عليهِ الشعار البابوي مع تاريخ السنة المقدَّسة . ثم يرسم الصليب ثلاثاً ويضع على الآجرَّة الوسطى صندوقة مختومـة حاويَة الانواط التذكاريَّة التي تُضرب

تذكاراً لليوبيل. وهذه الانواط تمثّل على احد وجهيها صورة الحبر الاعظم وفي اطارها آية من الكتاب المقدّس كقول يعقوب في سفر التكوين: « هذا بيت الله وباب السماء » وفي الوجه الآخر تاريخ اليوبيل. وفي ختام هذه الحفلة يُعلن الاب الاقدس بمفارين اليوبيل لكل النصرانيّة

٤ في تعريف الغفران اليوبيلي وخواصهِ

بقي علينا ان نعرّف حقيقة الغفران اليوبيلي وخواصّهُ وشروطهُ المفترضة على مكتسبيهِ. ولا بُدَّ لذلك من بعض مقدّمات نجعلها كتوطئة لبيان عظم نعمة اليوبيل فنقول انهُ لامر راهن اكيد ان المؤمن اذ اجترح خطأً مميتاً يفقد محبة الله ويستوجب العذاب الابدي في النيران الجهنميّة فينبغي لهُ ليعود الى نعمتهِ تعالى ان يقرَّ بذنبهِ منيباً الى الله ومتأسفاً على ما صنع وقاصداً القصد الثابت بألّا يعود الى خطيئتهِ: فاذا نال من الله بواسطة الكاهن المأذون الحلّ من خطيتهِ غفر لهُ الرب الاهانة التي ألحقها بعزّتهِ تعالى لمّا تعدّى وصاياهُ. ولكن للخطيئة تبعةً فيبقى على الخاطئ ان يفي لعدل الله وفاء زمنيّاً باعمالهِ المبرورة وتقشفاتهِ الاختياريّة في هذه الحياة او بعذابات موقّتة في الحياة الاخرى. ألا ترى انَّ الرب لمّا رأى توبة داود عبدهِ بعد قتله اوريّا وزناهُ غفر لهُ خطيئتهُ. ألّا انهُ لم يسامحهُ بالعقاب اللاحق بهذه الخطيئة اذ ضرب ابنهُ المولود لهُ من بتشابع امرأة اوريّا (طالع سفر الملوك الثاني ١٢: ١٣-١٤)

ثمَّ ان الخاطئ بخطيئتهِ لم يهن الله تعالى فقط بل ألحق بالكنيسة التي هو احد اعضائها ضرراً يجب عليهِ ان يتلافاهُ بالقانون المفروض عليهِ وكان هذا القانون صارماً جدّاً في اوائل الكنيسة وربّما كان الخاطئ يُنفى مدّة سنين طويلة عن جماعة المؤمنين لا يجوز لهُ ان يشاركهم في الاسرار

فالكنيسة المقدسة عملاً بالسلطان الممنوح لها من المسيح وضعت لابنائها وسائط يمكنهم ان يستعينوا بها للوفاء عن تبعة الخطيئة سواء كان بازائها او بازاء الله

امّا كون الكنيسة تستطيع ان تتجاوز عن التأديبات القانونيّة التي هي فرضتها فذلك امرٌ واضح لانَّ المشترع يمكنهُ ان يتصرَّف بشريعتهِ كيفما شاء. فاذا غيّرها او لطّفها او ابطلها فلا حرج عليهِ في ذلك

امّا كونها تستطيع ايضاً ان تزيل تبعة الاثم التي تلزم الخاطئ بازاء الله فذلك ايضاً

ليس في ادراكه عظيم امر ونحن نعلم انّ المسيح سلّم لكنيسته سلطانًا تامًا لتحلّ وتربط وان حلّها وربطها لا يكونان « على الارض » بازاء جماعة المؤمنين فقط لكن ايضًا « في السماء » اعني قدام الله . أعطى المسيح بطرس الصفا وخلفاءه « مفاتيح ملكوت السماوات » فان لم يستطع بطرس وخلفاؤه ان يفتحوا باب ملكوت السماوات لمن شاءوا ويغلقوه لمن شاءوا اصبح السلطان الممنوح لهم عبثًا وسخريّة . وكل ذلك لا يتم الّا بان يغفروا الخطايا ويزيلوا تبعاتها بازاء الله ايضًا

فينتج من هذه الملاحظات انّ للكنيسة حقًّا ان تضع الغفارين وتصفح عن الخطايا وتزيل تبعاتها وتتجاوز عن العقابات الزمنيّة اللاحقة بها واذا أنكر احدٌ على الكنيسة هذه السلطة ابطل كلام الرب نفسه

وهذا صفحُ الكنيسة وتسامُحها بالذنوب وتبعاتها يمكنهُ ان يكون جزئيًا وهو الغفران الذي ندعوهُ غير كامل او يكون تامًا وهو الغفران الكامل

وما اليوبيل الّا صنف من الغفارين الكاملة لكنّهُ يمتاز عن الغفران الكامل الاعتيادي ببعض الامور : (اولًا) بكونهِ اعمّ لانهُ يشمل كلّ النصرانيّة فيزيد بذلك مفعولُهُ لما بين المؤمنين من رباطات الحبّ والاخاء واقترانهم جميعًا بشركة القديسين . (ثانيًا) بكونهِ اعظم لانّ الحبر الروماني يمنح في وقت اليوبيل للكهنة امتيازات لم يمنحهم ايّاها في وقت آخر فيمكنهم ان يحلّوا عن بعض الخطايا المحفوظة للاساقفة ولرأس الكنيسة نفسهِ . وكذلك يسوغ لهم ان يفتحوا في ما يختصّ بالنذور البسيطة وموانع الزواج الخفيّة والتأديبات الكنسيّة . (ثالثًا) بكون مفاعيله اصدق واوثق . لانّ الغفران اليوبيليّ لا بدّ لهُ من استعداد واعمال صالحة كما سترى قريبًا وكل ذلك من شأنهِ ان يهيّئ المؤمن لربح نعمتهِ الجزيلة فينال منها قسمًا اوفى على حسب استعداده

٥ً في الشروط المفروضة لربح غفران اليوبيل

لمّا كان الغفران اليوبيلي من اعظم نعم الله لعبادهِ تحتّم عليهم ان يستقبلوا هذه المنّة بالشكر وعرفان الجميل . ولكن ساء ظنّ الذين يحاولون ربح هذه النعمة دون اتمام الشروط المفروضة للوصول اليها . وهذه الشروط تختلف تبعًا لمشيئة الحبر الاعظم الذي يمنح اليوبيل . ولكن عادةً يفرض الاب الاقدس بالاعمال الآتية :

اولًا الاعتراف للكاهن والندامة الحقيقية عن كل الخطايا. وهو شرط لازب لا يمكن ربح غفران اليوبيل دونهُ

ثانيًا التقرب الى المائدة المقدسة. واعلم انَّ الاعتراف السنويّ والتناول الفصحيّ لا يكفيان عادةً لنيل اليوبيل

ثالثًا زيارة بعض الكنائس في أيام يعيّنها الاسقف المحلي

رابعًا الصلاة على نيّات الحبر الاعظم لرفع شأن الكنيسة واستئصال الهرطقات والسلام بين الملوك الكاثوليكيين وخلاص الشعب المسيحي

وربما زيد على هذه الشروط فرائض اخرى كالصوم والصدقة على الفقراء وحضور المواعظ والارشادات وغير ذلك مما يُعرف من منطوق البراءة البابويّة

فمَّا تقدَّم ترى انَّ الغاية من إقامة اليوبيل انَّما هي تطهير الضمائر من ادرانها بندامة خلاصيَّة وتجديد روح الايمان في القلوب وتنشيط المؤمنين في سبيل التقى والاعمال الصالحة لينهضوا نهضة جديدة ويواصلوا سيرهم الى غايتهم القصوى التي لاجلها خُلقوا ويتاجروا بالوزنات التي أُعطيها كلٌّ منهم فيسمعوا في يوم الدين من فم الديَّان: « هلمَّ ايها العبد الصالح الامين وادخل فرح سيّدك » متَّعنا الله بهذه النعمة بشفاعة اوليائهِ القديسين امين

مطبوعات شرقية جديدة

كتاب المنتخبات الكنسيَّة في السيرة القدسيَّة

تعريب القس الفاضل عبد الاحد جرجي السرياني

سبق لنا في المشرق (٢:٤٤) ذكر تأليف الموقَّر توما الكمبيسي صاحب الاقتداء بالمسيح. وقد اثنينا هناك على حضرة الاب الفاضل عبد الاحد جرجي الذي اتحف الشرق بترجمة هذه المصنفات التقويَّة التي يُغني اسم مؤلفها عن اطرائها. وقد اطَّلعنا اليوم على جزئين آخرين انجزت نشرها مطبعة الموصل للمرسلين الافاضل الآباء الدومينيكيين. واحد هذين الجزئين يتضمَّن كتاب مناجاة المرء نفسهُ (ص ٣٣٦) تراهُ اذا تصفَّحتهُ اشبه شيء بكتاب الاقتداء بالمسيح كأنهما قُدَّا من اديم واحد. يمزج كاتبهُ بين التعليم

والنوافذ القلبيّة والصلوات التقويّة. امّا الجزء الآخر فيحتوي تأملات توما الكمبيسي في أجلّ اسرار حياة المسيح (ص ٤٠٠) اعني اسرار فرحهِ وآلامهِ ومجدهِ. وهو من اجود ما كُتب في هذا المعنى نحضُّ المؤمنين وخصوصاً الكهنة على اقتنائه والهذيذ بموادهِ. امّا تعريبُ الكتابين فبسيط كما يليق بمثل هذه الكتب وفي عبارتهِ رقّة وانسجام

ميمر مار يعقوب السروجي في الايمان بالسريانية

عُني بطبعهِ وشرح الفاظهِ حضرة الخوري جرجس السبعلاني

طبع في مطبعة الاباء اليسوعيين. سنة ١٩٠١ ص ١٧

هذه المقالة السريانيّة وضعها مار يعقوب السروجي لتفنيد نسطور وقولهِ الكفري في المسيح وامّهِ الطاهرة. وهي عبارة عن ٢٠٠ بيت من الشعر المتين الذي احرز لصاحبهِ بين السريان لقب «كنّارة الروح القدس». وكان الاوربيُّون لنفاسة نصّها الرائق ومورِدها الشائق قد ترجموها سابقاً الى اللاتينيّة فاحبَّ حضرة الخوري الفاضل جرجس السبعلاني ان ينشرها بالسريانيّة ويشرح ما فيها من غامض الالفاظ. فنشكرهُ على خدمتهِ هذه للُغة السريانيّة ونتمنى ان يكون عملهُ دائماً جديداً لدرس مآثر السريان وآدابهم ل. ش

شذرات

اكتشاف الدكتور بلس في تلّ سانت حنّة زار مدرستنا الكليّة يوم الاربعاء الماضي ٦ شباط الدكتور بلس الذي منذ عشرين سنة احرز لهُ ذكرًا طيبًا بين العلماء والاكتشافات العديدة التي اجراها في انحاء فلسطين كلاكيش والقدس الشريف وتلّ زكريّا. وممّا افادنا انَّهُ سيستأنف الحفر قريباً في انحاء أُخر ولهُ الامل الوثيق ان يجد من العاديّات ما يفيد العلوم اجمالًا والدروس الكتابيّة خصوصاً. وبهذه النسبة استحسنا ان ننقل عن البشير ما كتبهُ الى هذه الجريدة مراسلنا في القدس بخصوص اكتشافات الدكتور في تلّ المعروف بتلّ سانت حنّة قال يرويُ ما اخبرهُ بهِ رفعتلو شوكت افندي الخالدي المعيَّن رفيقاً للدكتور بلس:

ان تلّ سانت حنة من اراضي قرية بيت جبرين التي تبعد عنها خمس عشرة دقيقة وهي تابعة لقضاء خليل الرحمٰن عليهِ السلام من لواء القدس الشريف وهذا التلّ عبارة عن مدينة كاملة طولها ١٩٠ متراً وعرضها ١٢٠ متراً وكان فوقها التراب بثخانة متر واحد وعدد بيوتها ١٥٠ بيتاً وجميعها حسنة البنيان مكلّسة بالشيد. منها قلعة حسنة الاستحكام يظهر انها كانت للجنود وحمّام

عمومي. وطرق المدينة واسعة منتظمة كانها على الطرز الجديد من فنّ هذا العصر متقنة غاية الاتقان وهي محاطة بسورين وبين الاول والثاني عشرة امتار ولكل سور باب واحد يفتح من جهة الشرق وهي من آثار الروم بعد اسكندر الكبير. وفي ذاك الوقت لمّا دخل الرومان هذه البلاد وُضعت اساس هذه المدينة على اساس قديم كان موضوعاً في عصر سيدنا ابرهيم عليهِ السلام. ووجدنا داخل هذه المدينة جملة آثار منقولة منها جرار كبيرة وصغيرة وسروج وصحون من فخّار احمر واصنام من رصاص مكتوفة الايدي والارجل كحالة الاسرى ومقاييس ومكاييل وموازين عليها كتابة يونانية ومسكوكات منقوشة عليها الطيور التي تشابه النسر. وعلى بعض ايدي الجرار مكتوب بالاحرف العبرانية واليونانية هكذا: « للملك حبرون » يعني خليل الرحمن « للملك زيف » « للملك ممشط » وهي اسماء ملوك ذلك العصر. ووجدنا ايضاً ألواحاً من حجر ابيض ملكي اي طري مكتوب عليها باللغتين العبرانية واليونانية ولم يتمكّن احد من معرفتها نظرًا لصغر حجم الحرف. وعثرنا في تلك الاراضي قرب السور على قبر قديم داخلهُ تمثال امرأة من فخّار طولها عشرون سنتيمترًا وهي حسنة وواقفة وعلى جانبها الايمن كرسي من حجر موضوع عليهِ زهر طاولة للعب النرد. ووجدنا ايضاً اقراطاً (حلقًا) من ذهب وقنينتين زجاج طول الواحدة سبعة سنتيمترات. وقد اعلمنا بالاكتشاف المذكور جناب صاحب المطوفة حمدي بك مدير المتحف الهمايوني فصدر امره بحفظها

✲ تحامل المحبّة ✲ كانّ مجلّة المحبة رضيت من المحبة باسمها ومن تصفّح كلّ عدد من اعدادها لا يرى في كلام اصحابها الّا التحامل على الكنيسة الكاثوليكيّة. ولا نطلب شاهدًا آخر على قولنا سوى ما كتبتهُ في عددها الاخير (ص٢٧) عن الرهبنات في فرنسا « وفي مقدّمتها شركة الجزويت » فلخّصت خطاب والدك روسو واثبتت « براهينهُ وادلّتهُ » وكلها اوهن من نسيج العنكبوت ولو كانت المحبة صادقة لقرّرت ايضاً تفنيد هذا الخطاب فانّ كثيرين من اعضاء الندوة الفرنسوية فنّدوهُ جملةً جملة وحرفاً حرفاً وبيّنوا أراجيفهُ المرجفة فما للمحبّة سكتت عن كلّ ذلك أتُراها تجهلهُ. ثم ذكرت « مليار الرهبنات » ونسيت ان تقول انّ هذا ايضاً كذب محض وانّ الكاثوليك اثبتوا من السجلّات الرسميّة انّ الرهبنات كلها لا تملك ثلث هذا المبلغ بحيث اذا قُسم هذا المال بين كلّ فرد من أفرادها لا ينال الواحد ٤٠٠٠ فرنك أفيرضى احد كتبة المحبة تنفسه بمثل هذه الثروة الطائلة. ثمّ وان سلّمنا بانّ الرهبنات تملك مليارًا فما هذا بالمقابلة لما يملكهُ السنون الفًا من اليهود الفرنسويين اعني ٨٠ مليارًا. وزد على ذلك انّ الرهبان لا يملكون ما يملكون للتجارة او بذخ العيش بل يصرفونهُ كلّهُ في سبيل الخير فهذه مدارسهم ومستشفياتهم وميانهم وجمعياتهم الخيرية لا تخلو منها قرية من قرى فرنسة وناهيك بما نشاهدهُ في بيروت عيانًا عن ايضاح ما هو اضوأ من الشمس. اما ما قالتهُ المحبّة في « شركة الجزويت » وفظائعها فلا نظن انّ احدًا من أعيان الروم الاورثذكس في البلدة يصادق عليهِ واكثرهم من تلامذتنا يفتخرون بتعليمنا ولا يزالون يشرّفونا بتسليم اولادهم وافلاذ اكبادهم لتهذّبهم في العلوم والاداب. أفيُجنى من الشوك عنب او من العوسج تين. — وان حدّقت المحبة الى بعض كتبتها رأتهم ايضاً من تلامذتنا (راجع المشرق ٤: ٩٦) فكيف سوّلت لها نفسها ان تجرح شعائرهم بما دوّنتهُ في صفحاتها. وان قالت انّما كتبت ما كتبت بعلمهم او بإيعازهم لم يبقَ الّا ان نردّد قول الشاعر:

أعلّمهُ الرماية كلّ يوم فلمّا اشتدّ ساعدهُ رماني

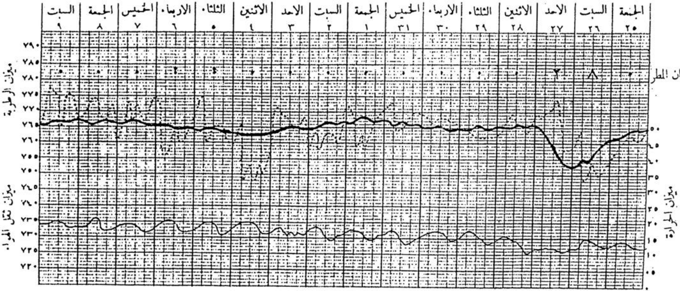
أسئلة وأجوبة

س سألنا من صيدا احد القراء جواباً على السؤال الآتي: امرأة وقفت خمسة قراريط شائعة شراكة الغير على نفسها ثم على زوجها من بعدها ثم على اخوتها الاحياء ومن بعدهم على ذرّيتهم الذكور وبعد هذا رجعت عن وقفها وحكم الحاكم باتفاق الرأي مع الاعضاء بفساد الوقف لكونه غير مستوفي الشروط ثم اعترض مستحقو الوقف فحكم عليهم وبعد الحكم اشتروا منها بعض هذا العقار وتصرفوا به ثم باعوهُ الى اولادهم واولادهم تصرّفوا به كتصرف المالك وكذا ايضاً الواقفة وجميع هذا بموجب النظام والشريعة فهل الى اولادهم من بعدهم واولاد اولادهم حق الاعتراض على هذا ؟

ج نجيب (اولاً) انَّ وقف العقار على النفس ثم على الغير من بعدها تعاقباً لمن الامور الجائزة المشروعة اذا كان على مصرفٍ مؤبد وضمن الاصول الشرعيَّة. — واذا كان الوقف حصَّةً شائعة فالقاضي يقاسم الواقف. (ثانياً) اذا رجع الواقف عن الوقف وكان الوقف غير لازم فالحاكم يحكم بعدم صحَّتهِ لان ما بُني على الفساد فاسد فالوقف المحكوم بعدم صحَّتهِ لا يكون لازماً. (ثالثاً) انَّ لمستحقّ الوقف ان يعترض على حكم الحاكم مبيّناً الاسباب الشرعيَّة التي توجب صحة الوقف ولزومهُ لكنَّ للحاكم ايضاً ان يردَّ تلك الاعتراضات فيما اذا كانت غير واردةً شرعاً. فاذا منع الحاكمُ المعترضَ من دعواهُ كان حكمهُ لازماً فيما اذا كان ذلك الحكم غير قابل للنقض لمطابقتهِ الاصول الشرعيَّة. (رابعاً) ان من ادَّعى صحَّة الوقف واستحقاقهُ اذا اقدم بعد منعهِ من دعواهُ على شراء ماكان ادعى انهُ وقف فتصرف بهِ تصرُّف المالك بملكهِ فهو بنفس الفعل قد رضخ لحكم الحاكم وسلّم بعدم صحَّة الوقف واقرَّ انهُ مبطلٌ بدعواه ومعلوم ان المرء مؤاخذ باقرارهِ. (خامساً) من ادعى بعقار على أنهُ مستحقهُ من جهة الوقف ثم مُنع من دعواهُ بحكم الحاكم ثم اشترى ذلك العقار على انهُ ملكٌ صرف ثمَّ عاد فادَّعى الاستحقاق لا تسمع دعواهُ هذه الاخيرة للتناقض. (سادساً) ان حكم الحاكم بعدم صحة الوقف يبطل الوقف فلا يسوغ من ثمَّ لاولاد المستحق او اولاد اولادهم ان يعترضوا. (سابعاً) ان مستحق الوقف المحتوم بعدم صحَّتهِ لو لم يكونوا رضخوا لحكم الحاكم بشتراهم العقار على انهُ ملك لكان يحق لهم الاعتراض لدى عدم مرور الزمان اثباتاً لصحَّة الوقف (ان امكن). ومعلوم ان الدعوى اذا كانت في حقّ اصل الوقف فتسمع الى ست وثلاثين سنة واذا كانت في حق المرتزقة والمتولي فالى خمس عشرة سنة كما جاء في المادتين ١٦٦٠ و ١٦٦١ من المجلة

انطون بك شحيبر وكيل دعاوي

قائمة للآثار الجويّة من ٢٥ كانون الثاني الى ٩ شباط ١٩٠١



انّ الخطّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر الملمترات